سيجموند فرويد

التحليل النفسي للبارانويا

(القاضي شرايبر)

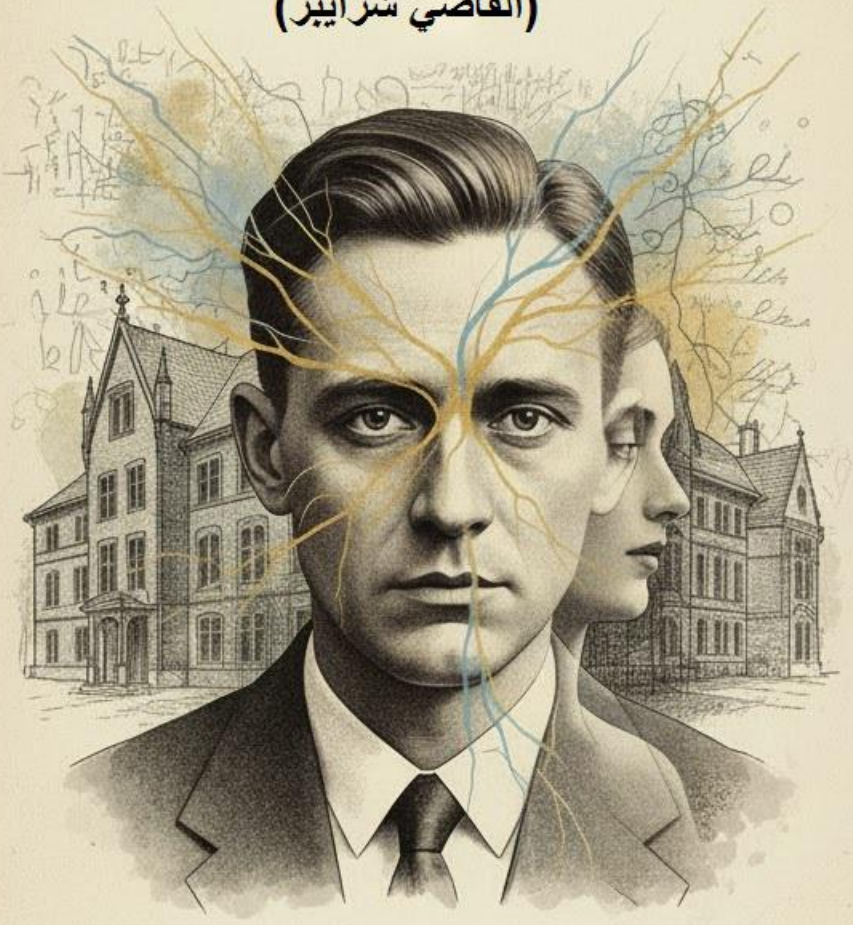

ترجمة

عمرو الأزهري

مقدمة المترجم

يوجد كتاب لسيجموند فرويد إسمه 5 حالات من التحليل النفسي وهم:

1- حالة دورا

2- حالة رجل الفئران

3- حالة هانز الصغير

وكان من المفترض أن يتضمن الكتاب الحالة الرابعة والخامسة وهما:

4- حالة رجل الذئاب

5- حالة القاضي شرايير

ولكن هاتان الحالتان لم يتم ترجمتهما إلى اللغة العربية ولا يوجد أي دار نشر عربية على الإطلاق قامت بترجمة هاتين الحالتين.

وقد إستعنت بالله عز وجل وقمت أنا بترجمة هاتين الحالتين لوجه الله تعالى من أجل كل إخواني وأخواتي الدارسين في مجال التحليل النفسي والطب النفسي ، سائلاً الله عز وجل أن يوفقني للمساعدة والإفادة العامة لكل إخواني وأخواتي الدارسين، وأسألكم الدعاء لي بالتوفيق

جميع حقوق الطبع غير محفوظة

تمت الترجمة بناءً على النص الألماني الأصلي للمؤلف

"Psychoanalytische Bemerkungen über einen autobiographisch beschriebenen Fall von Paranoia"

(Dementia Paranoides)

أخوكم

م/ عمرو الأزهري من مصر (2026)

ملاحظات تحليلية نفسية عن حالة بارانويا

حالة القاضي شرايبر

سيجموند فرويد (1911)

حالة القاضي شرايبر

ملاحظات تحليلية نفسية عن حالة بارانويا خرف بارانوي

مستمدة من سيرة ذاتية (1911)

تقديم

إن الاستقصاء التحليلي للبارانويا (الجنون الارتيابي) يطرح صعوبات ذات طبيعة خاصة للأطباء الذين، مثلي، لا يعملون في مؤسسات عامة .فنحن لا نستطيع قبول المرضى الذين يعانون من هذه الشكوى، أو على الأقل، لا يمكننا الاحتفاظ بهم لفترة طويلة، لأننا لا نستطيع تقديم العلاج ما لم يكن هناك احتمال للنجاح العلاجي .لذلك، لا أنجح إلا في ظروف استثنائية في الحصول على أكثر من نظرة سطحية لبنية البارانويا -عندما يكون التشخيص)وهو ليس بالأمر السهل دائماً (غير مؤكد بما يكفي لتبرير محاولة التأثير على المريض، أو عندما أستسلم، رغم التشخيص المؤكد، لتوسلات أقارب

المريض وأتعهد بعلاجه لفترة من الوقت .وبالإضافة إلى ذلك، بالطبع، أرى الكثير من حالات البارانويا والخرف المبكر (dementia praecox)، وأتعلم عنها بقدر ما يتعلمه الأطباء النفسيون الآخرون عن حالاتهم؛ لكن هذا لا يكفي، كقاعدة عامة، للوصول إلى أي استنتاجات تحليلية.

إن الاستقصاء التحليلي النفسي للبارانويا سيكون مستحيلاً تماماً لو لم يمتلك المرضى أنفسهم ميزة الكشف بشكل مشوه، هذا صحيح عن تلك الأشياء تحديداً التي يخفيها العصابيون الآخرون كسر .وبما أنه لا يمكن إجبار مرضى البارانويا على التغلب على مقاوماتهم الداخلية، وبما أنهم في كل الأحوال لا يقولون إلا ما يختارون قوله، يترتبع على ذلك أن هذا الاضطراب هو تحديداً الذي يمكن فيه لتقرير مكتوب أو تاريخ حالة مطبوع أن يحل محل المعرفة الشخصية بالمريض .لهذا السبب، أعتقد أنه من المشروع بناء تفسيرات تحليلية على تاريخ حالة مريض يعاني من البارانويا أو بشكل أدق، من الخرف

البارانوي لم أره قط، ولكنه كتب تاريخ حالته بنفسه وقدمه للجمهور مطبوعاً.

أشير هنا إلى الدكتور في الحقوق دانيال بول شرايبر (Dr. jur. Daniel Paul Schreber)، رئيس المحكمة السابق في درسدن، الذي نُشر كتابه "مذكرات مريض عصبي " (Denkwürdigkeiten eines Nervenkranken)في عام 1903، وإذا كانت معلوماتي صحيحة، فقد أثار اهتماماً كبيراً بين الأطباء النفسيين .من المحتمل أن الدكتور شرايبر لا يزال على قيد الحياة اليوم وأنه قد انفصل عن النظام الهذائي الذي طرحه في عام 1903لدرجة تجعله يتألم من هذه الملاحظات حول كتابه. ومع ذلك، بقدر ما لا يزال يحتفظ بهويته مع شخصيته السابقة، يمكنني الاعتماد على الحجج التي واجه بها هو نفسه " -رجل ذو مواهب عقلية متفوقة ومزود بحدة غير عادية في الذكاء والملاحظة - [1]"الجهود التي بُذلت لمنعه من نشر مذكراته" :لم أبذل أي جهد"، كما كتب، "لإغماض عيني عن الصعوبات التي يبدو أنها تكمن في طريق النشر، وخاصة

مشكلة إيلاء الاعتبار الواجب لحساسيات بعض الأشخاص الذين لا يزالون على قيد الحياة .ومن ناحية أخرى، أنا أرى أنه قد يكون من مصلحة العلم والاعتراف بالحقائق الدينية إذا تمكنت السلطات المؤهلة، خلال حياتي، من إجراء بعض الفحص لجسدي وإجراء بعض الاستفسار عن تجاربي الشخصية .وأمام هذا الاعتبار، يجب أن تتراجع كل المشاعر ذات الطابع الشخصي [2]".ويصرح في موضع آخر أنه قرر التمسك بنيته في نشر الكتاب، حتى لو كانت النتيجة هي أن طبيبه، مستشار الدولة الدكتور فليكسيج (Dr. Flechsig)من لايبزيغ، قد رفع دعوى ضده. ومع ذلك، فإنه يحث الدكتور فليكسيج على نفس الاعتبارات التي أحثه عليها الآن" :أثق"، كما يقول، "أنه حتى في حالة المستشار الأستاذ الدكتور فليكسيج، فإن أي حساسيات شخصية قد يشعر بها ستتضاءل أمام الاهتمام العلمي بموضوع مذكراتي[3](446) ".

على الرغم من أن جميع الفقرات من "المذكرات "التي تستند إليها تفسيراتي سيتم اقتباسها حرفياً في الصفحات التالية، إلا

أنني أطلب من قرائي التعرف على الكتاب من خلال قراءته بالكامل مرة واحدة على الأقل مسبقاً.

[1]يوجد هذا الوصف الذاتي، وهو بالتأكيد ليس غير مبرر، في الصفحة 35من كتابه.

[2]المقدمة، iii.

[3]الأرقام الواردة بين قوسين في هذا البحث دون أن تسبقها "p."هي مراجع لصفحات الطبعة الألمانية الأصلية لمذكرات شرايبر Denkwürdigkeiten eines Nervenkranken -، لايبزيغ، أوزوالد موتزي.

أولاً: تاريخ الحالة

"لقد عانيت مرتين من اضطرابات عصبية"، يكتب الدكتور شرايبر، "وفي كل مرة كان ذلك نتيجة للإجهاد الذهني الزائد . كان ذلك في المرة الأولى بسبب ترشحي للانتخابات في الرايخستاغ بينما كنت مديراً للمحكمة الإقليمية في كيمنتس، وفي المرة الثانية بسبب عبء العمل الثقيل جداً الذي وقع على عاتقي عندما باشرت مهامي الجديدة كرئيس للمحكمة في المحكمة الإقليمية العليا في درسدن(34) ".

بدأ مرض الدكتور شرايبر الأول في خريف عام 1884، وبحلول نهاية عام 1885كان قد تعافى تماماً .خلال هذه الفترة قضى ستة أشهر في عيادة فليكسيج، ووصف الأخير، في تقرير رسمي أعده في وقت لاحق، الاضطراب بأنه نوبة من المراق (hypochondria)الشديد .ويؤكد لنا الدكتور شرايبر أن هذا

المرض سار في مجراه "دون وقوع أي حوادث تقترب من مجال ما وراء الطبيعة(35) ."

لا يخبرنا تقرير المريض نفسه، ولا تقارير الأطباء التي أعيد طبعها في نهاية كتابه، بما يكفي عن تاريخه السابق أو ظروفه الشخصية .لست حتى في وضع يسمح لي بتحديد عمر المريض وقت مرضه، وإن كان المنصب القضائي الرفيع الذي وصل إليه قبل مرضه الثاني يضع حداً أدنى معيناً .نعلم أن الدكتور شرايبر كان متزوجاً قبل وقت طويل من إصابته بـ "المراق ."يكتب : "ربما كان امتنان زوجتي أكثر صدقاً؛ فقد كانت تبجل الأستاذ فليكسيج باعتباره الرجل الذي أعاد إليها زوجها، ومن هنا كانت تحتفظ بصورته لسنوات على مكتبها (36) ".وفي نفس المكان : "بعد تعافي من مرضي الأول، قضيت ثماني سنوات مع زوجتي - سنوات كانت، في المجمل، مليئة بالسعادة الكبيرة، وغنية بالتكريمات الخارجية، ولم يعكر صفوها من وقت لآخر إلا خيبة الأمل المتكررة في أملنا بأن نُرزق بالأطفال".

في يونيو 1893، تم إخطاره بتعيينه المرتقب كرئيس للمحكمة، وتولى مهامه في الأول من أكتوبر من نفس العام .بين هذين التاريخين [1]رأى بعض الأحلام، وإن لم يوليها أي أهمية إلا في وقت لاحق .حلم مرتين أو ثلاث مرات بأن اضطرابه العصبي القديم قد عاد؛ وهذا جعله بائساً في الحلم بقدر ما جعله اكتشاف أنه مجرد حلم سعيداً عندما استيقظ .وعلاوة على ذلك، في إحدى المرات في ساعات الصباح الباكر، وبينما كان في حالة بين النوم واليقظة، خطرت له فكرة "أنه بعد كل شيء، يجب أن يكون من اللطيف حقاً أن تكون امرأة تستسلم لعملية الجماع (36) ."كانت هذه الفكرة مما كان سيرفضه بأكبر قدر من الاستنكار لو كان في كامل وعيه.

بدأ المرض الثاني في نهاية أكتوبر 1893بنوبة تعذيبية من الأرق .أجبره ذلك على العودة إلى عيادة فليكسيج، حيث ساءت حالته بسرعة .وُصف المسار اللاحق للمرض في تقرير أعده لاحقاً مدير مصحة سوننشتاين" :في بداية إقامته هناك [2] أعرب عن أفكار مراقية أكثر، واشتكى من أن لديه ليونة في

الدماغ، وأنه سيموت قريباً، إلخ .لكن أفكار الاضطهاد كانت تجد طريقها بالفعل إلى الصورة السريرية، بناءً على أوهام حسية بدت وكأنها تظهر بشكل متقطع في البداية؛ بينما لوحظ في الوقت نفسه درجة عالية من فرط الحساسية -حساسية كبيرة للضوء والضوضاء - .لاحقاً، أصبحت الأوهام البصرية والسمعية أكثر تكراراً، وبالاشتراك مع اضطرابات الحس المشترك، هيمنت على كامل شعوره وتفكيره .كان يعتقد أنه ميت ويتحلل، وأنه يعاني من الطاعون؛ وأكد أن جسده يتم التعامل معه بشتى الطرق المقززة؛ وكما يصرح هو نفسه حتى يومنا هذا، فقد مر بأهوال أسوأ مما يمكن لأي شخص أن يتخيله، وكل ذلك من أجل غرض مقدس .كان المريض مشغولاً جداً بهذه التجارب المرضية لدرجة أنه لم يكن متاحاً لأي انطباع آخر وكان يجلس متصلباً تماماً وبلا حراك لساعات ذهول هلوسي. ومن ناحية أخرى، كانت تعذبه لدرجة أنه كان يتوق للموت .قام بمحاولات متكررة لإغراق نفسه في حمامه، وطلب إعطاءه "السيانيد الذي كان مخصصاً له ."تدريجياً اتخذت أفكاره الهذائية طابعاً صوفياً ودينياً؛ كان في اتصال

مباشر مع الله، وكان ألعوبة في يد الشياطين، ورأى "ظهورات معجزية"، وسمع "موسيقى مقدسة"، وفي النهاية وصل به الأمر إلى الاعتقاد بأنه يعيش في عالم آخر(380) ".

[1]وبالتالي قبل أن يتأثر بالإرهاق الناتج عن منصبه الجديد، الذي يعزو إليه مرضه.

[2]في عيادة الأستاذ فليكسيج في لايبزيغ.

ويمكن الإضافة أن هناك أشخاصاً معينين كان يعتقد أنهم يضطهدونه ويؤذونه، وكان يصب عليهم الشتائم .وأبرز هؤلاء كان طبيبه السابق، فليكسيج، الذي كان يسميه "قاتل الروح"؛ وكان ينادي مراراً وتكراراً" :فليكسيج الصغير "!مع تشديد حاد على الكلمة الأولى .(383)نُقل من لايبزيغ، وبعد فترة قصيرة قضاها في مؤسسة أخرى، أُحضر في يونيو 1894إلى مصحة سوننشتاين، بالقرب من بيرنا، حيث بقي حتى اتخذ اضطرابه شكله النهائي. في غضون السنوات القليلة التالية تغيرت الصورة

السريرية بطريقة يمكن وصفها بأفضل شكل بكلمات الدكتور ويبر، مدير المصحة.

"لا أحتاج إلى الخوض في مزيد من التفاصيل حول مسار المرض. ومع ذلك، يجب أن ألفت الانتباه إلى الطريقة التي تطور بها، مع مرور الوقت، الذهان الحاد الأولي نسبياً، الذي أثر بشكل مباشر على حياة المريض العقلية بأكملها واستحق اسم 'الجنون الهلوسي'، بشكل أكثر وضوحاً)يمكن القول تقريباً إنه تبلور (إلى الصورة السريرية البارانوية التي أمامنا اليوم (385) ".كانت الحقيقة هي أنه، من ناحية، طور بنية هذائية بارعة، ولدينا كل الأسباب للاهتمام بها، بينما من ناحية أخرى، أُعيد بناء شخصيته وأظهرت نفسها الآن، باستثناء بعض الاضطرابات المنعزلة، قادرة على تلبية متطلبات الحياة اليومية.

يقول الدكتور ويبر في تقريره لعام 1899 الملاحظات التالية" : يبدو هكذا أنه في الوقت الحاضر، وبصرف النظر عن بعض

الأعراض النفسية الحركية الواضحة التي لا يمكن إلا أن تلفت نظر حتى المراقب السطحي باعتبارها مرضية، فإن السيد رئيس المحكمة الدكتور شرايير لا يظهر أي علامات على الارتباك أو التثبيط النفسي، كما أن ذكاءه لم يضعف بشكل ملحوظ .ذهنه حاضر، وذاكرته ممتازة، ولديه تحت تصرفه مخزون كبير جداً من المعرفة)ليس فقط في المسائل القانونية، بل في مجالات أخرى كثيرة، وهو قادر على إعادة إنتاجها في سلسلة متصلة من الأفكار .إنه يهتم بمتابعة الأحداث في عالم السياسة والعلم والفن، إلخ، وهو مشغول باستمرار بمثل هذه الأمور ...

والمراقب الذي لم يتم إطلاعه على حالته العامة لن يلاحظ أي شيء غريب في هذه الاتجاهات .ومع ذلك، وبالرغم من كل هذا، فإن المريض مليء بالأفكار ذات الأصل المرضي، والتي شكلت نفسها في نظام كامل؛ وهي ثابتة إلى حد ما، ويبدو أنه لا يمكن تصحيحها عن طريق أي تقدير وحكم موضوعي للحقائق الخارجية(6-305) ".

وهكذا خضعت حالة المريض لتغيير كبير، وأصبح الآن يعتبر نفسه قادراً على ممارسة حياة مستقلة .وبناءً على ذلك، اتخذ الخطوات المناسبة بهدف استعادة السيطرة على شؤونه الخاصة وتأمين خروجه من المصحة .عزم الدكتور وير على منع تحقيق هذه النوايا وأعد تقارير معارضة لها .ومع ذلك، في تقريره المؤرخ عام 1900، شعر بأنه ملزم بتقديم هذا الوصف التقديري لشخصية المريض وسلوكه" :بما أنه خلال الأشهر التسعة الماضية كان السيد الرئيس شرايبر يتناول وجباته يومياً على مائدة عائلتي، فقد أتيحت لي أوسع الفرص للتحدث معه في كل موضوع يمكن تخيله، وأياً كان الموضوع الذي يُطرح للنقاش بعيداً، بالطبع، عن أفكاره الهذائية(، سواء كان يتعلق بأحداث في مجال الإدارة والقانون، أو السياسة، أو الفن، أو الأدب، أو الحياة الاجتماعية -باختصار، أياً كان الموضوع، فقد قدم الدكتور شرايبر دليلاً على اهتمام حي، وعقل مطلع، وذاكرة جيدة، وحكم سليم؛ وعلاوة على ذلك، كانت نظرته الأخلاقية مما لا يمكن إلا تأييده .وبالمثل، في حديثه الخفيف مع سيدات الحفل، كان مهذباً وودوداً، وعندما كان يتطرق إلى الأمور

بأسلوب أكثر فكاهة كان يظهر دائماً اللباقة واللياقة .لم يحدث قط، خلال هذه الأحاديث البريئة حول مائدة الطعام، أن طرح موضوعات كان ينبغي طرحها بشكل أكثر ملاءمة في استشارة طبية (8-397) ". وبالفعل، في إحدى المرات خلال هذه الفترة عندما نشأت مسألة تجارية تتعلق بمصالح عائلته بأكملها، خاض فيها بطريقة أظهرت معرفته التقنية وحسه السليم 401)و.(510

في الطلبات العديدة المقدمة للمحاكم، والتي سعى من خلالها الدكتور شرايبر لاستعادة حريته، لم يتنكر على الإطلاق لأوهامه ولم يخفِ نيته في نشر "المذكرات ."بل على العكس، أسهب في الحديث عن أهمية أفكاره للفكر الديني، وعن حصانتها ضد هجمات العلم الحديث؛ ولكنه في الوقت نفسه شدد على "عدم الضرر المطلق (430) "لجميع الأفعال التي، كما كان يدرك، تفرضها عليه أوهامه .وبالفعل، كانت فطنته وقوة منطقه سبباً في أن تكللت جهوده بالنجاح في النهاية، وبالرغم من كونه مريض بارانويا معترفاً به .في يوليو 1902،

استعاد الدكتور شرايبر حقوقه المدنية، وفي العام التالي ظهر كتابه "مذكرات مريض عصبي"، وإن كان في شكل خاضع للرقابة ومع حذف العديد من الأجزاء القيمة.

يلخص حكم المحكمة الذي أعاد للدكتور شرايبر حريته محتوى نظامه الهذائي في جمل قليلة" :كان يعتقد أن لديه مهمة لافتداء العالم وإعادته إلى حالة السعادة المفقودة .ومع ذلك، لا يمكنه تحقيق ذلك إلا إذا تحول أولاً من رجل إلى امرأة(475) ".

للحصول على وصف أكثر تفصيلاً لأوهامه كما ظهرت في شكلها النهائي، يمكننا الرجوع إلى تقرير الدكتور ويبر لعام 1899 نقطة الذروة في النظام الهذائي للمريض هي اعتقاده بأن لديه مهمة لافتداء العالم، وإعادة البشرية إلى حالة السعادة المفقودة .لقد دُعي إلى هذه المهمة، كما يؤكد، بإلهام مباشر من الله، تماماً كما نُعلم أن الأنبياء دُعوا؛ لأن الأعصاب في حالة من الإثارة الكبيرة، كما كانت أعصابه لفترة طويلة، تمتلك تحديداً خاصية ممارسة

جذب على الله -وإن كان هذا يمس أموراً لا تكاد اللغة البشرية، إن استطاعت أصلاً، قادرة على التعبير عنها، لأنها تقع تماماً خارج نطاق الخبرة البشرية، وبالفعل، قد كُشفت له وحده . الجزء الأكثر جوهرية في مهمته في الافتداء هو أنه يجب أن يسبقها تحوله إلى امرأة. لا ينبغي افتراض أنه يرغب في التحول إلى امرأة؛ بل هي مسألة 'ضرورة 'قائمة على 'نظام الأشياء'، والتي لا توجد إمكانية للتهرب منها، بقدر ما يفضل هو شخصياً البقاء في مكانته الموقرة والذكورية في الحياة .ولكن لا هو ولا بقية البشر يمكنهم استعادة الحياة الآخرة إلا عن طريق تحوله إلى امرأة وهي عملية قد تستغرق سنوات عديدة أو حتى عقوداً عن طريق المعجزات الإلهية. وهو نفسه، وهذا ما هو مقتنع به، هو الكائن الوحيد الذي تقع عليه المعجزات الإلهية".

إن اهتمام الطبيب النفسي العملي بمثل هذه التكوينات الهذائية ينفد عادةً بمجرد تأكده من طبيعة نتاجات الهذاء وتكوين تقدير لتأثيرها على سلوك المريض العام: ففي حالته، لا يكون التعجب بداية للفهم .أما المحلل النفسي، في ضوء

معرفته بالعصابات النفسية، فيقترب من الموضوع بشك في أن حتى البنى الفكرية غير العادية كهذه والبعيدة جداً عن أنماط تفكيرنا الشائعة هي مع ذلك مشتقة من أكثر الدوافع العامة والمفهومة للعقل البشري؛ وسيكون سعيداً باكتشاف دوافع مثل هذا التحول وكذلك الطريقة التي تم بها إنجازه .ومع وضع هذا الهدف في الاعتبار، سيرغب في التعمق أكثر في تفاصيل الهذاء وفي تاريخ تطوره.

أ) يشدد المسؤول الطبي على نقطتين باعتبارهما الأهم :تقمص المريض لدور المخلص المنقذ، وتحوله إلى امرأة .هذيان المخلص هو خيال مألوف لنا من خلال تكرار تشكيله لنواة البارانويا الدينية .العامل الإضافي، الذي يجعل الافتداء معتمداً على تحول الرجل مسبقاً إلى امرأة، هو أمر غير معتاد ومحير في حد ذاته، لأنه يظهر تباعداً كبيراً عن الأسطورة التاريخية التي يسعى خيال المريض إلى إعادة إنتاجها .من الطبيعي اتباع التقرير الطبي في افتراض أن القوة الدافعة لهذا المجمع الهذائي كانت طموح المريض للعب دور المخلص، وأن إخصاءه لم

يكن له الحق في أن يُعتبر إلا وسيلة لتحقيق تلك الغاية .ومع ذلك، وبالرغم من أن هذا قد يبدو صحيحاً بالنسبة لهذيانه في شكله النهائي، إلا أن دراسة "المذكرات "تجبرنا على اتخاذ وجهة نظر مختلفة تماماً للمسألة .فنحن نعلم أن فكرة التحول إلى امرأة أي الإخصاء كانت الهذيان الأولي، وأنه بدأ باعتبار ذلك الفعل بمثابة إصابة خطيرة واضطهاد، وأنه لم يرتبط بلعبه لدور المخلص إلا بطريقة ثانوية .وعلاوة على ذلك، لا يمكن أن يكون هناك شك في أنه كان يعتقد في الأصل أن التحول سيتم لغرض الاعتداء الجنسي وليس لخدمة أهداف عليا .يمكن صياغة الموقف بالقول إن هذيان الاضطهاد الجنسي تحول لاحقاً في ذهن المريض إلى هذيان ديني بالعظمة .أُسند دور المضطهد في البداية إلى الأستاذ فليكسيج، الطبيب الذي كان تحت رعايته؛ ولاحقاً، حل محله الله نفسه.

سأقتبس الفقرات ذات الصلة من "المذكرات "بالكامل" :بهذه الطريقة وصلت مؤامرة ضدي إلى ذروتها في حوالي مارس أو

أبريل 1894 كان هدفها التدبير بحيث أنه بمجرد الاعتراف بشكواي العصبية على أنها غير قابلة للشفاء أو افتراض أنها كذلك، يجب أن أُسلم إلى شخص معين بطريقة معينة :كان من المقرر تسليم روحي إليه، ولكن جسدي -بسبب سوء فهم لما وصفته أعلاه بأنه الغرض الكامن وراء نظام الأشياء -كان سيتحول إلى جسد أنثوي: وعلى هذا النحو يُسلم إلى الشخص المعني[1] بهدف الاعتداء الجنسي، ثم يُترك ببساطة 'على جانب واحد - 'أي، بلا شك، يُترك للفساد(56) ".

"علاوة على ذلك، كان من الطبيعي تماماً من وجهة النظر البشرية التي كانت هي التي تحكمني في ذلك الوقت بشكل أساسي أن أعتبر الأستاذ فليكسيج أو روحه عدوي الحقيقي الوحيد - في وقت لاحق كانت هناك أيضاً روح 'فون و von) '. (W.، والتي سأقول عنها المزيد لاحقاً -وأن أعتبر الله القدير حليفي الطبيعي .لقد تخيلت فقط أنه كان في ضيق شديد فيما يتعلق بالأستاذ فليكسيج، وبالتالي شعرت بأنني ملزم بدعمه بكل وسيلة يمكن تخيلها، حتى لدرجة التضحية بنفسي .لم

تفرض الفكرة نفسها على عقلي إلا في وقت متأخر جداً بأن الله نفسه قد لعب دور الشريك، إن لم يكن المحرض، في المؤامرة التي كان من المقرر بموجبها قتل روحي واستخدام جسدي مثل عاهرة .يمكنني القول، في الواقع، أن هذه الفكرة أصبحت واعية بوضوح بالنسبة لي جزئياً فقط في سياق كتابة العمل الحالي(59) ".

"كل محاولة لقتل روحي، أو لإخصائي لأغراض تتعارض مع نظام الأشياء أي لإشباع الشهوات الجنسية لفرد بشري، أو لاحقاً لتدمير فهمي - كل محاولة من هذا القبيل باءت بالفشل. من هذا الصراع غير المتكافئ على ما يبدو بين رجل ضعيف والله نفسه، خرجت منتصراً -وإن لم يكن ذلك دون الخضوع لكثير من المعاناة المريرة والحرمان -لأن نظام الأشياء يقف إلى جانبي(61) ".

في حاشية ملحقة بكلمات "تتعارض مع نظام الأشياء "في الفقرة أعلاه، يتنبأ المؤلف بالتحول اللاحق في هذيانه

بالإخصاء وفي علاقته بالله" :سأبين لاحقاً أن الإخصاء لغرض آخر تماماً -غرض يتفق مع نظام الأشياء -هو ضمن حدود الإمكانية، وبالفعل، قد يوفر على الأرجح حل الصراع".

[1]يظهر من السياق في هذه الفقرة وغيرها أن "الشخص المعني " الذي كان سيمارس هذا الاعتداء لم يكن سوى فليكسيج .انظر أدناه.

هذه التصريحات ذات أهمية حاسمة في تحديد وجهة النظر التي يجب أن نتخذها تجاه هذيان الإخصاء وبالتالي إعطائنا فهماً عاماً للحالة .ويمكن الإضافة أن "الأصوات "التي سمعها المريض لم تعامل تحوله إلى امرأة إلا كعار جنسي، مما أعطاها عذراً للسخرية منه" .أشعة الله [1]لم تكن نادراً ما تعتقد أن لها الحق في السخرية مني بمناداتي بـ 'الآنسة [2]شرايبر'، في إشارة إلى الإخصاء الذي، كما زُعم، كنت على وشك الخضوع له (127) ". أو كانوا يقولون" :إذن هذا يدعي أنه كان رئيساً للمحكمة، هذا

الشخص الذي يسمح لنفسه بأن يُضاجع [3]"!أو مرة أخرى" :ألا تشعر بالخجل أمام زوجتك؟"

إن كون خيال الإخصاء ذا طبيعة أولية ومستقلاً في الأصل عن فكرة المخلص يصبح أكثر احتمالاً عندما نتذكر "الفكرة "التي، كما ذكرت في صفحة سابقة، خطرت له بينما كان نصف نائم، ومفادها أنه يجب أن يكون من اللطيف أن تكون امرأة تستسلم لعملية الجماع .(36)ظهر هذا الخيال خلال فترة حضانة مرضه، وقبل أن يبدأ في الشعور بآثار الإرهاق في درسدن.

يقدم شرايبر نفسه شهر نوفمبر 1895 كتاريخ تم فيه إنشاء الصلة بين خيال الإخصاء وفكرة المخلص وتمهيد الطريق له للتصالح مع الأول .يكتب" :الآن، ومع ذلك، أصبحت مدركاً بوضوح أن نظام الأشياء يتطلب بشكل حتمي إخصائي، سواء أحببت ذلك شخصياً أم لا، وأنه لا يوجد مسار معقول مفتوح أمامي سوى التصالح مع فكرة التحول إلى امرأة .والنتيجة

اللاحقة لإخصائي لا يمكن أن تكون، بالطبع، إلا تلقيحي بالأشعة الإلهية لغاية خلق عرق جديد من الرجال(177) ".

" [1]أشعة الله"، كما سنرى، متطابقة مع الأصوات التي تتحدث "اللغة الأساسية."

[2]باللغة الإنجليزية في الأصل .

[3]أعيد إنتاج هذا الحذف من "المذكرات"، تماماً كما أفعل مع كل خصوصيات طريقة المؤلف في الكتابة .أنا نفسي لم أكن لأجد سبباً لكوني خجولاً جداً بشأن مسألة جدية.

كانت فكرة التحول إلى امرأة هي السمة البارزة والجرثومة الأولى لنظامه الهذائي .كما ثبت أنها الجزء الوحيد منه الذي استمر بعد شفائه، والجزء الوحيد الذي كان قادراً على الاحتفاظ بمكان في سلوكه في الحياة الواقعية بعد تعافيه .

"الشيء الوحيد الذي يمكن أن يبدو غير معقول في عيون الآخرين هو الحقيقة، التي تم التطرق إليها بالفعل في تقرير الخبير، وهي أنني أوجد أحياناً واقفاً أمام المرآة أو في مكان آخر

مع تعرية الجزء العلوي من جسدي، ومرتدياً زينة أنثوية متنوعة، مثل الأشرطة والقلائد المزيفة وما شابه ذلك. يحدث هذا فقط، كما قد أضيف، عندما أكون بمفردي؛ وأبداً، على الأقل بقدر ما أستطيع تجنبه، في حضور أشخاص آخرين ".

(429)يعترف السيد رئيس المحكمة بهذا العبث في تاريخ)يوليو (1901كان فيه بالفعل في وضع يسمح له بالتعبير ببراعة كبيرة عن اكتمال تعافيه في مجال الحياة العملية" :لقد أصبحت مدركاً منذ فترة طويلة أن الأشخاص الذين أراهم حولي ليسوا 'رجالاً مرتجلين بشكل عابر 'بل أناس حقيقيون، وأنه يجب علي بالتالي التصرف تجاههم كما اعتاد الرجل العاقل أن يتصرف تجاه رفاقه (409) ".على النقيض من الطريقة التي وضع بها خيال الإخصاء موضع التنفيذ، لم يتخذ المريض أبداً أي خطوات نحو حث الناس على الاعتراف بمهمته كمخلص، بخلاف نشر "مذكراته."

ب) إن موقف مريضنا تجاه الله فريد جداً ومليء بالتناقضات الداخلية لدرجة أنه يتطلب أكثر من القليل من الإيمان

للاستمرار في الاعتقاد بأن هناك مع ذلك "منهجاً "في "جنونه ."بمساعدة ما يخبرنا به الدكتور شرايبر في "المذكرات"، يجب علينا الآن أن نسعى للوصول إلى نظرة أكثر دقة لنظامه اللاهوتي النفسي، ويجب علينا شرح آرائه المتعلقة بالأعصاب، وحالة الغبطة، والتسلسل الهرمي الإلهي، وصفات الله، في ترابطها الظاهر)الهذائي .(في كل نقطة في نظريته سنندهش من المزيـج المذهل بين المبتذل والذكي، وبين ما تم استعارته وما هو أصيل.

تتكون الروح البشرية من أعصاب الجسد .ويجب تصور هذه الأعصاب كبنى ذات نعومة غير عادية، قابلة للمقارنة بأرفع الخيوط .بعض هذه الأعصاب مناسب فقط لاستقبال الإدراكات الحسية، بينما تقوم أعصاب أخرى)أعصاب الفهم (بجميع وظائف العقل؛ وفي هذا الصدد، تجدر الملاحظة أن كل عصب فهم منفرد يمثل الفردية العقلية الكاملة للشخص، وأن وجود عدد أكبر أو أقل من أعصاب الفهم ليس له أي تأثير إلا على طول الوقت الذي يمكن للعقل فيه الاحتفاظ بانطباعاته[1].

بينما يتكون الرجال من أجساد وأعصاب، فإن الله بطبيعته ليس سوى عصب .لكن أعصاب الله ليست، كما هو الحال مع الأجساد البشرية، موجودة بأعداد محدودة، بل هي لانهائية أو أبدية .وهي تمتلك جميع خصائص الأعصاب البشرية بدرجة مكثفة بشكل هائل .في قدرتها الإبداعية -أي قدرتها على تحويل نفسها إلى كل شيء يمكن تخيله في العالم المخلوق - تُعرف بالأشعة .هناك علاقة وثيقة بين الله والسماء المرصعة بالنجوم والشمس[2].

[1]الكلمات التي يذكر بها شرايير هذه النظرية مكتوبة بخط مائل من قبله، ويضيف حاشية يصر فيها على أنه يمكن استخدامها كتفسير للوراثة" :المني الذكري"، كما يصرح، "يحتوي على عصب ينتمي إلى الأب، ويتحد مع عصب مأخوذ من جسد الأم لتشكيل كيان جديد (7) ".هنا، إذن، نجد خاصية تنتمي بشكل صحيح للحيوان المنوي منقولة إلى الأعصاب، مما يجعل من المحتمل أن "أعصاب "شرايير مشتقة من مجال الأفكار

المرتبطة بالجنس .لا يحدث نادراً في "المذكرات "أن تعطينا ملاحظة عرضية حول قطعة من النظرية الهذائية الإشارة المطلوبة لأصل الهذيان وبالتالي لمعناه.

[2]في هذا الصدد انظر مناقشتي أدناه حول أهمية الشمس - . المقارنة بين أو بالأحرى تكثيف الأعصاب والأشعة قد تكون مبنية على الامتداد الخطي الذي يشتركان فيه .أعصاب الأشعة، بالمناسبة، ليست أقل إبداعاً من أعصاب الحيوانات المنوية.

عندما انتهى عمل الخلق، انسحب الله إلى مسافة هائلة 11-10 و 252 وترك العالم، بشكل عام، لقوانينه الخاصة .لقد قصر أنشطته على جذب أرواح الموتى إليه. ولم يكن يدخل في علاقات مع أشخاص معينين موهوبين للغاية إلا في حالات استثنائية، [1]أو يتدخل عن طريق معجزة في مصائر العالم .لا يملك الله أي تواصل منتظم مع الأرواح البشرية، وفقاً لنظام الأشياء، إلا بعد الموت [2].عندما يموت الإنسان، تخضع أجزاؤه الروحية)أي أعصابه (لعملية تطهير قبل أن تتوحد أخيراً مع

الله نفسه كـ "أفنية للسماء ."وهكذا يحدث أن كل شيء يتحرك في دورة أبدية، تكمن في أساس نظام الأشياء. في خلق أي شيء، يتخلى الله عن جزء من نفسه، أو يعطي جزءاً من أعصابه شكلاً مختلفاً .الخسارة الظاهرة التي يتكبدها هكذا يتم تعويضها عندما، بعد مئات وآلاف السنين، تؤول إليه أعصاب الموتى، التي دخلت حالة الغبطة، مرة أخرى كـ "أفنية للسماء " 18و 19 حاشية.

الأرواح التي مرت بعملية التطهير تدخل في الاستمتاع بحالة من الغبطة [3].وفي غضون ذلك تكون قد فقدت بعضاً من وعيها الفردي، واندمجت مع أرواح أخرى في وحدات أعلى. الأرواح المهمة، مثل أرواح رجال مثل غوته وبسمارك، إلخ، قد تضطر إلى الاحتفاظ بشعورها بالهوية لمئات السنين القادمة، قبل أن يتم حلها هي أيضاً في مجمعات روحية أعلى، مثل "أشعة يهوه " في حالة اليهود القدامى :أو "أشعة زرادشت "في حالة الفرس القدامى .في سياق تطهيرها" تتعلم الأرواح اللغة التي يتحدث بها الله نفسه، ما يسمى بـ 'اللغة الأساسية'، وهي لغة ألمانية

قوية وإن كانت قديمة نوعاً ما، وتتميز بشكل خاص بثروتها الكبيرة من أساليب التلطف(13) 4."

[1]في "اللغة الأساسية "انظر أدناه يوصف هذا بأنه "إجراء اتصال عصبي معهم."

[2] سنجد لاحقاً أن بعض الانتقادات ضد الله مبنية على هذه الحقيقة.

[3]يتكون هذا بشكل أساسي من شعور باللذة (انظر أدناه).

4في مناسبة واحدة فقط خلال مرضه، مُنح المريض امتياز رؤية الله القدير، بعينيه الروحيتين، واضحاً وغير متخفٍ أمامه .في تلك المناسبة نطق الله بكلمة كانت شائعة جداً في اللغة الأساسية، وهي كلمة قوية وإن لم تكن لطيفة -كلمة "عاهرة .(136) "!بالألمانية .'Luder'يطبق هذا المصطلح من الشتائم أحياناً على الذكور، وإن كان أكثر تكراراً على الإناث.

الله نفسه ليس كياناً بسيطاً" .فوق 'أفنية السماء 'كان يحوم الله نفسه، الذي، في مقابل هذه 'الممالك الأمامية لله'، وُصف

أيضاً بأنه 'الممالك الخلفية لله .'كانت الممالك الخلفية لله، ولا تزال، مقسمة بطريقة غريبة إلى جزأين، بحيث تم تمييز إله أدنى)أهريمان (عن إله أعلى)أورمزد (19) ". فيما يتعلق بأهمية هذا التقسيم، لا يستطيع شرايير إخبارنا بأكثر من أن الإله الأدنى كان مرتبطاً بشكل خاص بشعوب العرق الداكن الساميين والإله الأعلى بشعوب العرق الفاتح الآريين؛ ولن يكون من المعقول، في مثل هذه الأمور السامية، توقع المزيد من المعرفة البشرية .ومع ذلك، قيل لنا أيضاً أنه "بالرغم من حقيقة أن الله القدير يشكل وحدة في جوانب معينة، إلا أنه يجب اعتبار الإلهين الأدنى والأعلى كائنين منفصلين، يمتلك كل منهما أنانيته الخاصة وغريزته الخاصة في الحفاظ على الذات، حتى في العلاقة مع الآخر، وبالتالي يسعى كل منهما باستمرار لدفع نفسه أمام الآخر 140 "حاشية. وعلاوة على ذلك، تصرف الكيانان الإلهيان بطرق مختلفة تماماً تجاه شرايير غير المحظوظ خلال المرحلة الحادة من مرضه[1].

في الأيام التي سبقت مرضه، كان رئيس المحكمة شرايير مشككاً في الأمور الدينية 29و64؛ ولم يكن قادراً أبداً على إقناع نفسه بإيمان راسخ بوجود إله شخصي .وبالفعل، يسوق هذه الحقيقة عن حياته السابقة كحجة لصالح الواقعية الكاملة لأوهامه [2].ولكن أي شخص يقرأ الوصف الذي يلي لسمات شخصية إله شرايير سيضطر إلى الاعتراف بأن التحول الذي أحدثه الاضطراب البارانوي لم يكن جوهرياً جداً.

في نظام شرايير، يرتبط العنصران الرئيسيان لأوهامه تحوله إلى امرأة وعلاقته المفضلة مع الله في افتراضه لاتخاذ موقف أنثوي تجاه الله .سيكون جزءاً لا مفر منه من مهمتنا إظهار أن هناك علاقة وراثية جوهرية بين هذين العنصرين. وإلا فإن محاولاتنا لتوضيح أوهام شرايير ستتركنا في الموقف العبثي الذي وصفه كانط في تشبيهه الشهير في "نقد العقل المحض - " سنكون مثل رجل يمسك غربالاً تحت تيس بينما يقوم شخص آخر بحلبه.

ثانياً :محاولات التفسير

هناك زاويتان يمكننا من خلالهما محاولة الوصول إلى فهم لتاريخ حالة البارانويا هذه والكشف فيها عن المجمعات والقوى الدافعة المألوفة للحياة العقلية .يمكننا البدء إما من تصريحات المريض الهذائية نفسها أو من الأسباب المثيرة لمرضه.

الطريقة الأولى يجب أن تبدو مغرية منذ المثال الرائع الذي قدمه لنا يونغ (Jung)في تفسيره لحالة خرف مبكر كانت أشد بكثير من هذه وأظهرت أعراضاً أبعد بكثير عن الطبيعي .كما أن المستوى العالي لذكاء مريضنا الحالي، وقدرته على التواصل، من المرجح أن يسهل إنجاز مهمتنا على طول هذه الخطوط . هو نفسه لا يضغط نادراً بالمفتاح في أيدينا، بإضافة حاشية تفسيرية، أو اقتباس أو مثال لبعض الافتراضات الهذائية بطريقة تبدو عرضية، أو حتى بإنكار صريح لبعض المتوازيات التي نشأت في ذهنه .فعندما يحدث هذا، ما علينا إلا اتباع تقنيتنا التحليلية النفسية المعتادة -تجريد جملته من شكلها

السلبي، واعتبار مثاله هو الشيء الفعلي، أو اقتباسه أو حاشيته هي المصدر الأصلي -ونجد أنفسنا في حوزة ما نبحث عنه، أي ترجمة لنمط التعبير البارانوي إلى النمط الطبيعي.

ربما يستحق الأمر إعطاء توضيح أكثر تفصيلاً لهذا الإجراء . يشتكي شرايير من الإزعاج الذي تسببه ما يسمى بـ "الطيور المعجزة "أو "الطيور المتكلمة"، والتي ينسب إليها عدداً من الصفات الغريبة جداً. (14-208)إنه يعتقد أنها تتكون من "أفنية السماء "السابقة، أي من الأرواح البشرية التي دخلت حالة الغبطة، وأنها قد حُملت بسموم "البتوماين [1]"سموم الجثث وأُطلقت عليه .لقد أُوصلت إلى حالة تكرار "عبارات لا معنى لها تعلمتها عن ظهر قلب "والتي "دُقت في رؤوسها ."في كل مرة تفرغ فيها حمولتها من سم البتوماين عليه -أي في كل مرة "تسرد فيها العبارات التي دُقت فيها، كما كانت - "تصبح ممتصة إلى حد ما في روحه، مع كلمات "يا له من زميل "!أو "ليأخذه الشيطان "!وهي الكلمات الوحيدة التي لا تزال قادرة على استخدامها للتعبير عن شعور حقيقي .لا يمكنها فهم معنى

الكلمات التي تنطق بها، لكنها بطبيعتها حساسة لتشابه الأصوات، وإن لم يكن التشابه بالضرورة كاملاً .وهكذا لا يهم بالنسبة لها ما إذا كان المرء يقول:

"سانتياغو (Santiago) "أو "قرطاج(Karthago) "،

"الصينية (Chinesentum) "أو "يسوع المسيح (Jesum Christum)،

"شفق المساء (Abendrot) "أو "ضيق التنفس " (Atemnot)،

"أهريمان (Ariman) "أو "أكرمان (Ackermann) "إلخ [2].

(210)

بينما نقرأ هذا الوصف، لا يمكننا تجنب فكرة أن ما يشير إليه حقاً يجب أن يكون فتيات صغيرات .في مزاج من النقد، غالباً ما يقارنهن الناس بالإوز، ويتهمونهن بغير نبل بأن لديهن "عقول طيور "ويصرحون بأنهن لا يستطعن قول شيء سوى عبارات تعلمنها بالتلقين وأنهن يكشفن عن نقص تعليمهن بخلط الكلمات الأجنبية التي تبدو متشابهة .عبارة "يا له من زميل"!،

وهي الشيء الوحيد الذي هن جادات بشأنه، ستكون في هذه الحالة إشارة إلى انتصار الشاب الذي نجح في إثارة إعجابهن. وبالتأكيد، بعد بضع صفحات نجد فقرة يؤكد فيها شرايير هذا التفسير" :لأغراض التمييز، أعطيت على سبيل المزاح أسماء فتيات لعدد كبير من أرواح الطيور المتبقية؛ فمن خلال فضولهن، وميلهن للذة، إلخ، فإنهن جميعاً يوفرن بسهولة مقارنة مع الفتيات الصغيرات .بعض أسماء الفتيات هذه اعتمدتها منذ ذلك الحين أشعة الله واحتُفظ بها كتسمية لأرواح الطيور المعنية (214) ".هذا التفسير السهل لـ "الطيور المعجزة "يعطينا تلميحاً قد يساعدنا نحو فهم "أفنية السماء " الغامضة.

[1]بالألمانية 'Leichengift'، حرفياً 'سم الجثث .'

[Santiago [2]أو Carthage،

Chinesedomأو Jesus Christ،

Sunsetأو Breathlessness،

Ahrimanأو [.Farmer

أنا مدرك تماماً أن المحلل النفسي يحتاج إلى قدر لا بأس به من اللباقة وضبط النفس كلما تجاوز في سياق عمله الحالات النموذجية للتفسير وأن مستمعيه أو قراءه لن يتبعوه إلا بقدر ما تسمح به معرفتهم بالتقنية التحليلية .لذلك، لديه كل سبب للحذر من خطر أن يصاحب زيادة عرض الفطنة من جانبه انخفاض في يقين وموثوقية نتائجه .ومن الطبيعي إذن أن يميل أحد المحللين كثيراً في اتجاه الحذر والآخر كثيراً في اتجاه الجرأة .لن يكون من الممكن تحديد الحدود المناسبة للتفسير المبرر حتى يتم إجراء العديد من التجارب وحتى يصبح الموضوع أكثر مألوفية .في العمل على حالة شرايير، فُرضت علي سياسة ضبط النفس بسبب الظروف التي جعلت المعارضة لنشره لـ "المذكرات "فعالة لدرجة حجب جزء كبير من المادة عن معرفتنا -الجزء الذي كان من المرجح أن يلقي الضوء الأكثر أهمية على الحالة [1].وهكذا، على سبيل المثال، يفتتح الفصل الثالث من الكتاب بهذا الإعلان الواعد" :سأشرع الآن في وصف أحداث معينة وقعت لأعضاء آخرين من عائلتي

والتي يمكن تصور أنها كانت مرتبطة بقتل الروح الذي افترضته؛ فهناك على أي حال شيء يمثل مشكلة إلى حد ما في كل منها، شيء لا يسهل تفسيره على خطوط الخبرة البشرية العادية ".

(33)لكن الجملة التالية، وهي أيضاً الأخيرة في الفصل، هي كما يلي" :تم حجب بقية هذا الفصل من الطباعة لكونه غير مناسب للنشر ".لذلك سأضطر إلى الاكتفاء إذا نجحت في تتبع نواة البنية الهذائية على الأقل ببعض اليقين إلى دوافع بشرية مألوفة.

" [1]عندما نستعرض محتويات هذه الوثيقة"، يكتب الدكتور ويبر في تقريره، "وننظر في كمية التجاوزات فيما يتعلق بنفسه والأشخاص الآخرين التي تحتوي عليها، عندما نلاحظ الطريقة غير الخجولة التي يصف بها مواقف وأحداثاً هي من أكثر الطبيعة حساسية وبالفعل، بالمعنى الجمالي، مستحيلة تماماً، عندما نفكر في استخدامه للغة قوية من النوع الأكثر إهانة، وما إلى ذلك، سنجد أنه من المستحيل تماماً فهم كيف يمكن لرجل، متميز بعيداً عن هذا بلباقته ورقيه، أن يفكر في اتخاذ

خطوة مسيئة جداً لنفسه في نظر الجمهور، ما لم نضع في اعتبارنا حقيقة أن "...إلخ إلخ (402) .بالتأكيد لا يمكننا أن نتوقع أن تاريخ حالة يهدف إلى إعطاء صورة للبشرية المختلة وصراعاتها لإعادة تأهيل نفسها يجب أن يظهر "التحفظ " والسحر "الجمالي."

ومع وضع هذا الهدف في الاعتبار، سأذكر الآن قطعة صغيرة أخرى من تاريخ الحالة لم يُعطَ لها وزن كافٍ في التقارير، على الرغم من أن المريض نفسه فعل كل ما في وسعه لوضعها في المقدمة .أشير إلى علاقات شرايير بطبيبه الأول، المستشار الأستاذ فليكسيج من لايبزيغ.

كما نعلم بالفعل، اتخذت حالة شرايير في البداية شكل أوهام الاضطهاد، ولم تبدأ في فقدانه حتى نقطة التحول في مرضه)وقت "تصالحه ."من ذلك الوقت فصاعداً أصبحت الاضطهادات أقل فأقل احتمالاً، وبدأ الغرض المخزي الذي كان يكمن في البداية وراء إخصائه المهدد يُستبدل بغرض يتفق مع

نظام الأشياء .لكن المؤلف الأول لجميع أعمال الاضطهاد هذه كان فليكسيج، وظل هو المحرض عليها طوال مسار المرض[1].

عن الطبيعة الفعلية لجريمة فليكسيج ودوافعها يتحدث المريض بالغموض والابهام المميزين اللذين يمكن اعتبارهما علامات على عمل مكثف بشكل خاص لتكوين الهذيان، إذا كان من المشروع الحكم على البارانويا على نموذج ظاهرة عقلية أكثر مألوفية -الحلم .فليكسيج، وفقاً للمريض، ارتكب، أو حاول ارتكاب، "قتل روح "عليه -وهو فعل كان، في اعتقاده، قابلاً للمقارنة بالجهد الذي يبذله الشيطان أو الشياطين للاستحواذ على روح وقد يكون له نموذجه الأصلي في أحداث وقعت بين أعضاء من عائلتي فليكسيج وشرايير المتوفين منذ زمن طويل 22)وما يليها .(سنكون سعداء لتعلم المزيد عن معنى "قتل الروح "هذا، ولكن عند هذه النقطة تعود مصادرنا مرة أخرى إلى صمت متعمد" :أما بالنسبة لما يشكل الجوهر الحقيقي لقتل الروح، وبالنسبة لتقنيته، إذا جاز لي وصفها هكذا، فأنا غير قادر على قول أي شيء يتجاوز ما تمت الإشارة

إليه بالفعل .هناك فقط هذا، ربما، ليُضاف) ...الفقرة التي تلي غير مناسبة للنشر (28) ".(نتيجة لهذا الحذف، نُترك في الظلام بشأن مسألة ما المقصود بـ "قتل الروح ."سنشير لاحقاً إلى التلميح الوحيد حول الموضوع الذي نجا من الرقابة.

" [1]حتى الآن تنادي الأصوات التي تتحدث معي باسمك مئات المرات كل يوم .إنهم يسمونك في اتصالات معينة متكررة باستمرار، وخاصة باعتبارك المؤلف الأول للإصابات التي عانيت منها .ومع ذلك، فإن العلاقات الشخصية التي كانت قائمة بيننا لفترة من الوقت قد تلاشت، بالنسبة لي، منذ فترة طويلة في الخلفية؛ بحيث لا يكون لدي أنا نفسي سبب كافٍ لتذكرك دائماً، وأقل من ذلك للقيام بذلك بأي مشاعر من الاستياء" ".رسالة مفتوحة إلى الأستاذ فليكسيج"، (.viii

مهما كان الأمر، سرعان ما حدث تطور إضافي في أوهام شرايير، مما أثر على علاقاته بالله دون تغيير علاقاته بفليكسيج .حتى الآن كان يعتبر فليكسيج أو بالأحرى روحه عدوه الحقيقي

الوحيد وكان ينظر إلى الله القدير كحليفه؛ ولكن الآن لم يستطع تجنب فكرة أن الله نفسه قد لعب دور الشريك، إن لم يكن المحرض، في المؤامرة ضده (59) .ومع ذلك، ظل فليكسيج هو المغوي الأول، الذي استسلم الله لتأثيره .(60) لقد نجح في شق طريقه إلى السماء بروحه كاملة أو بجزء منها وفي أن يصبح "قائداً للأشعة"، دون أن يموت أو يخضع لأي تطهير تمهيدي (56) [1].استمرت روح فليكسيج في لعب هذا الدور حتى بعد نقل المريض من عيادة لايبزيغ إلى مصحة الدكتور بيرسون .ظهر تأثير البيئة الجديدة من خلال انضمام روح الممرض الرئيسي إلى روح فليكسيج، والذي تعرف عليه المريض كشخص كان يعيش سابقاً في نفس مجمع الشقق الذي كان يسكن فيه .تم تمثيل ذلك على أنه روح "فون و ". [2].(von W.)ثم أدخلت روح فليكسيج نظام "تقسيم الروح"، الذي اتخذ أبعاداً كبيرة .في وقت من الأوقات كان هناك ما يصل إلى أربعين إلى ستين تقسيماً فرعياً لروح فليكسيج؛ وكان اثنان من تقسيماتها الأكبر يُعرفان بـ "فليكسيج العلوي "و"فليكسيج الأوسط ."تصرفت روح فون و) .الممرض الرئيسي (بنفس

الطريقة تماماً .(111)كان من المسلي أحياناً ملاحظة الطريقة التي كانت بها هاتان الروحان، بالرغم من تحالفهما، تخوضان نزاعاً مع بعضهما البعض، حيث كانت الكبرياء الأرستقراطية لإحداهما تواجه الغرور الأستاذي للأخرى .(113)خلال أسابيعه الأولى في سوننشتاين التي نُقل إليها أخيراً في صيف عام 1894 دخلت روح طبيبه الجديد، الدكتور وير، في اللعبة؛ وبعد فترة وجيزة حدث التغيير في تطور أوهامه الذي عرفناه بـ "تصالحه."

[1]وفقاً لنسخة أخرى ومهمة، والتي تم رفضها قريباً، كان الأستاذ فليكسيج قد أطلق النار على نفسه إما في فايسنبرغ في الألزاس أو في زنزانة شرطة في لايبزيغ .رأى المريض جنازته تمر، وإن لم يكن في الاتجاه الذي كان متوقعاً بالنظر إلى المواقع النسبية للعيادة الجامعية والمقبرة .في مناسبات أخرى ظهر له فليكسيج بصحبة شرطي، أو في محادثة مع زوجته .كان شرايبر شاهداً على هذه المحادثة بطريقة "الاتصال العصبي"، وفي سياقها أطلق الأستاذ فليكسيج على نفسه اسم "الإله

فليكسيج "لزوجته، بحيث كانت تميل للاعتقاد بأنه قد جن . (82)

²أخبرته الأصوات أنه في سياق تحقيق رسمي أدلى فون و .هذا ببعض التصريحات غير الصحيحة عنه، إما عمداً أو عن غير قصد، وخاصة اتهمه بالاستمناء .كعقاب على ذلك، كان ملزماً الآن بخدمة المريض. (108)

خلال هذه الإقامة اللاحقة في سوننشتاين، عندما بدأ الله يقدره بشكل أفضل، شُنت غارة على الأرواح، التي تضاعفت كثيراً لدرجة أنها أصبحت مصدر إزعاج .ونتيجة لذلك، نجت روح فليكسيج في شكل واحد أو شكلين فقط، وروح فون و .في شكل واحد فقط .وسرعان ما اختفت الأخيرة تماماً .تقسيمات روح فليكسيج، التي فقدت ببطء ذكاءها وقوتها، أصبحت توصف بـ "فليكسيج الخلفي "و"حزب 'أوه حسناً ."'"!إن احتفاظ روح فليكسيج بأهميتها حتى النهاية يتضح من "الرسالة المفتوحة إلى السيد المستشار الأستاذ الدكتور فليكسيج "التمهيدية لشرايبر.

في هذه الوثيقة الرائعة يعرب شرايير عن قناعته الراسخة بأن الطبيب الذي أثر عليه كانت لديه نفس الرؤى وتلقى نفس الكشوفات حول الأشياء الخارقة للطبيعة مثله تماماً .إنه يحتج في الصفحة الأولى ذاتها بأن مؤلف "المذكرات "ليس لديه أدنى نية لشن هجوم على شرف الدكتور، وتتكرر نفس النقطة بجدية وتأكيد في عروض المريض لموقفه 343)، .(445من الواضح أنه يسعى للتمييز بين "الروح فليكسيج " والرجل الحي الذي يحمل نفس الاسم، فليكسيج أوهامه عن فليكسيج الحقيقي[1].

" [1]أنا مضطر بناءً على ذلك للاعتراف كاحتمال بأن كل شيء في الفصول الأولى من مذكراتي والمرتبط باسم فليكسيج قد يشير فقط إلى الروح فليكسيج متميزة عن الرجل الحي .لأن حقيقة أن لروحه وجوداً منفصلاً هي حقيقة مؤكدة، وإن كان لا يمكن تفسيرها على أي أساس طبيعي(3-342) ".

لقد قادتني دراسة عدد من حالات أوهام الاضطهاد، وكذلك باحثين آخرين، إلى الرأي القائل بأن العلاقة بين المريض ومضطهده يمكن اختزالها في صيغة بسيطة [1].يبدو أن الشخص الذي ينسب إليه الهذيان الكثير من القوة والتأثير، والذي تلتقي في يديه كل خيوط المؤامرة، هو، إذا تم تسميته بوضوح، إما مطابق لشخص لعب دوراً مهماً بنفس القدر في حياة المريض العاطفية قبل مرضه، أو يمكن التعرف عليه بسهولة كبديل له .يتم إسقاط شدة العاطفة في شكل قوة خارجية، بينما تتغير جودتها إلى العكس .الشخص الذي يُكره ويُخشى الآن لكونه مضطهداً كان في وقت من الأوقات محبوباً ومكرماً.

لقد تعاملنا حتى الآن مع عقدة الأب، التي كانت العنصر المهيمن في حالة شرايير ومع الخيال الرغبي الذي تمحور حوله المرض .ولكن في كل هذا لا يوجد شيء يميز شكل المرض المعروف بالبارانويا، لا شيء قد لا يوجد)والذي وجد بالفعل في أنواع أخرى من العصابات .يجب البحث عن الطابع المميز للبارانويا)أو الخرف البارانوي في مكان آخر -أي في الشكل

الخاص الذي تتخذه الأعراض؛ وسنتوقع أن نجد أن هذا يتحدد، ليس بطبيعة المجمعات نفسها، بل بالآلية التي تتشكل بها الأعراض أو التي يتم بها الكبت .سنميل إلى القول إن ما كان بارانوياً بشكل مميز في المرض هو حقيقة أن المريض، كوسيلة لصد خيال رغبي مثلي، تفاعل تحديداً بأوهام اضطهاد من هذا النوع.

هذه الاعتبارات تعطي وزناً إضافياً للظرف الذي يدفعنا إليه الواقع والخبرة لنسب علاقة وثيقة ربما ثابتة للخيلات الرغبية المثلية بهذا الشكل الخاص من المرض .وبسبب عدم ثقتي في خبرتي الخاصة في هذا الموضوع، انضممت خلال السنوات القليلة الماضية إلى أصدقائي سي .جي .يونغ من زيورخ وساندور فيرينزي من بودابست في استقصاء عدد من حالات الاضطراب البارانوي التي خضعت للملاحظة حول هذه النقطة الواحدة . شمل المرضى الذين قدمت تواريخ حالاتهم المادة لهذا الاستقصاء رجالاً ونساءً، وتنوعوا في العرق والمهنة والمكانة الاجتماعية .ومع ذلك، دهشنا عندما وجدنا أنه في جميع هذه

الحالات كان الدفاع ضد رغبة مثلية قابلاً للتعرف عليه بوضوح في مركز الصراع الذي يكمن وراء المرض، وأنهم جميعاً قد سقطوا في محاولة للسيطرة على تيار من المثلية الجنسية تم تعزيزه لا شعورياً [1].لم يكن هذا بالتأكيد ما توقعناه .البارانويا هي تحديداً اضطراب لا تكون فيه الأسباب الجنسية واضحة على الإطلاق؛ بل على العكس، فإن السمات البارزة بشكل لافت في التسبب في البارانويا، وخاصة بين الذكور، هي الإهانات والتحقيرات الاجتماعية .ولكن إذا دخلنا في المسألة بعمق أكبر قليلاً، سنتمكن من رؤية أن العامل الفعال حقاً في هذه الإصابات الاجتماعية يكمن في الدور الذي تلعبه فيها المكونات المثلية للحياة العاطفية .طالما أن الفرد يعمل بشكل طبيعي وبالتالي من المستحيل رؤية أعماق حياته العقلية، فقد نشك في ما إذا كانت علاقاته العاطفية بجيرانه في المجتمع لها أي علاقة بالجنس، سواء فعلياً أو في نشأتها .لكن الأوهام لا تفشل أبداً في كشف هذه العلاقات وتتبع المشاعر الاجتماعية إلى جذورها في رغبة شبقية حسية مباشرة .طالما كان صحيحاً، فإن الدكتور شرايبر أيضاً، الذي بلغت أوهامه ذروتها في خيال

رغبي ذي طبيعة مثلية لا لبس فيها، لم يظهر، حسب كل الروايات، أي علامات على المثلية الجنسية بالمعنى العادي للكلمة.

[1]يتم تقديم تأكيد إضافي من خلال تحليل مايدر (Maeder) لمريض بارانوي ج .ب .(1910) .يؤسفني القول إن البحث الحالي قد اكتمل قبل أن تتاح لي الفرصة لقراءة عمل مايدر.

سأحاول الآن وأعتقد أن المحاولة ليست غير ضرورية ولا غير مبررة إظهار أن المعرفة بالعمليات النفسية، التي نمتلكها الآن بفضل التحليل النفسي، تمكننا بالفعل من فهم الدور الذي تلعبه الرغبة المثلية في تطور البارانويا .لقد وجهت التحقيقات الأخيرة [1]انتباهنا إلى مرحلة في تطور الليبيدو يمر بها في الطريق من الشبقية الذاتية auto-erotism إلى حب الموضوع (object-love).[2] أُعطي لهذه المرحلة اسم النرجسية (narcissism). ما يحدث هو التالي .يأتي وقت في تطور الفرد يوحد فيه غرائزه الجنسية التي كانت تعمل حتى الآن في أنشطة

شبقية ذاتية من أجل الحصول على موضوع حب؛ ويبدأ باتخاذ نفسه، جسده الخاص، كموضوع لحبه، وفقط بعد ذلك ينتقل من هذا إلى اختيار شخص آخر غير نفسه كموضوع له .هذه المرحلة المتوسطة بين الشبقية الذاتية وحب الموضوع قد تكون لا غنى عنها بشكل طبيعي؛ ولكن يبدو أن الكثير من الناس يتلكأون لفترة طويلة بشكل غير عادي في هذه الحالة، وأن العديد من سماتها تنتقل معهم إلى المراحل اللاحقة من تطورهم .ما هو ذو أهمية قصوى في "الأنا " المختارة هكذا كموضوع حب قد يكون بالفعل الأعضاء التناسلية .ثم يؤدي خط التطور إلى اختيار موضوع خارجي بأعضاء تناسلية مماثلة -أي إلى اختيار موضوع مثلي -ومن ثم إلى الغيرية الجنسية .الأشخاص الذين يظهرون كمثليين في وقت لاحق من حياتهم، من المفترض أنهم لم يحرروا أنفسهم أبداً من الشرط الملزم بأن موضوع اختيارهم يجب أن يمتلك أعضاء تناسلية مثل أعضائهم؛ وفي هذا الصدد، تمارس النظريات الجنسية الطفولية التي تنسب نفس النوع من الأعضاء التناسلية لكلا الجنسين تأثيراً كبيراً.

[1]سادجر (1910) (Sadger)وفرويد 1910)ج.

[2]فرويد، "ثلاث مقالات في نظرية الجنس1905) "د.

بعد الوصول إلى مرحلة اختيار الموضوع المغاير، لا يتم التخلص من الميول المثلية أو إيقافها، كما قد يُفترض؛ بل يتم تحويلها ببساطة عن هدفها الجنسي وتطبيقها في استخدامات جديدة .وهي تتحد الآن مع أجزاء من غرائز الأنا، وباعتبارها مكونات "ملحقة"، تساعد في تشكيل الغرائز الاجتماعية، وبالتالي تساهم بعامل شبقي في الصداقة والزمالة، وفي روح الجماعة وفي حب البشرية بشكل عام .إن حجم المساهمة المشتقة في الواقع من مصادر شبقية)مع تثبيط الهدف الجنسي (لا يمكن تخمينه إلا بصعوبة من العلاقات الاجتماعية الطبيعية للبشرية .ولكن ليس من غير ذي صلة ملاحظة أن المثليين الظاهرين تحديداً، ومن بينهم مرة أخرى أولئك الذين يضعون أنفسهم ضد الانغماس في الأفعال الحسية، هم الذين يتميزون بالمشاركة النشطة بشكل خاص

في المصالح العامة للبشرية -وهي المصالح التي نبعت هي نفسها من تسامي الغرائز الشبقية.

في كتابي "ثلاث مقالات في نظرية الجنس "أعربت عن الرأي القائل بأن كل مرحلة في تطور الجنسية النفسية توفر إمكانية لـ "تثبيت(fixation) "، وبالتالي نقطة استعداد .الأشخاص الذين لم يحرروا أنفسهم تماماً من مرحلة النرجسية -أي الذين لديهم عند تلك النقطة تثبيت قد يعمل كاستعداد لمرض لاحق -معرضون لخطر أن تؤدي موجة مكثفة بشكل غير عادي من الليبيدو، لا تجد منفذاً آخر، إلى إضفاء طابع جنسي على غرائزهم الاجتماعية وبالتالي إلغاء التسامي الذي حققوه في سياق تطورهم .يمكن إنتاج هذه النتيجة عن طريق أي شيء يتسبب في تدفق الليبيدو إلى الوراء)أي يتسبب في "نكوص " :(regressionسواء، من ناحية، تعزز الليبيدو بشكل جانبي بسبب خيبة أمل تجاه امرأة، أو حُبس مباشرة بسبب حادث مؤسف في العلاقات الاجتماعية مع رجال آخرين -وكلاهما حالتان من حالات "الإحباط(frustration) "؛ أو سواء، من

ناحية أخرى، كان هناك تكثيف عام لليبيدو، بحيث يصبح قوياً جداً لدرجة لا يجد معها منفذاً على طول القنوات المفتوحة بالفعل له، وبالتالي ينفجر عبر ضفافه في أضعف نقطة .بما أن تحليلاتنا تظهر أن مرضى البارانويا يسعون لحماية أنفسهم ضد أي إضفاء للطابع الجنسي على شحنات غرائزهم الاجتماعية، فنحن مضطرون لافتراض أن النقطة الضعيفة في تطورهم يجب البحث عنها في مكان ما بين مراحل الشبقية الذاتية والنرجسية والمثلية الجنسية، وأن استعدادهم للمرض يجب أن يقع في تلك المنطقة .يجب تعيين استعداد مماثل للمرضى الذين يعانون من خرف كريبيلين المبكر أو)كما سماه بلولر (الفصام (schizophrenia)؛ وسنأمل لاحقاً في العثور على أدلة تمكننا من تتبع الاختلافات بين الاضطرابين)فيما يتعلق بالشكل الذي يتخذانه والمسار الذي يسلكانه (إلى الاختلافات المقابلة في تثبيتات الاستعداد لدى المرضى.

باتخاذ الرأي، إذن، بأن ما يكمن في جوهر الصراع في حالات البارانويا بين الذكور هو خيال رغبي مثلي لحب رجل، فإننا

بالتأكيد لن ننسى أن تأكيد مثل هذه الفرضية المهمة لا يمكن أن يتبع إلا بعد استقصاء عدد كبير من الحالات من كل نوع من أنواع الاضطراب البارانوي .يجب علينا بالتالي أن نكون مستعدين، إذا لزم الأمر، لقصر تأكيدنا على نوع واحد من البارانويا .ومع ذلك، فمن الحقائق اللافتة للنظر أن الأشكال الرئيسية المألوفة للبارانويا يمكن تمثيلها جميعاً كتناقضات للافتراض الواحد" :أنا)رجل (أحبه)رجلاً"(؛ وبالفعل إنها تستنفد جميع الطرق الممكنة التي يمكن بها صياغة مثل هذه التناقضات.

الافتراض "أنا رجل أحبه "يتم نقضه بواسطة:

أ) أوهام الاضطهاد؛ فهي تؤكد بصوت عالٍ:

"أنا لا أحبه - أنا أكرهه".

هذا التناقض، الذي يجب أن يكون قد سار هكذا في اللاشعور، [1] لا يمكن، مع ذلك، أن يصبح واعياً لمريض البارانويا بهذا الشكل .تتطلب آلية تكوين الأعراض في البارانويا أن تُستبدل

الإدراكات الداخلية - المشاعر -بإدراكات خارجية .وبالتالي فإن الافتراض "أنا أكرهه "يتحول عن طريق الإسقاط (projection) إلى افتراض آخر" :هو يكرهني يضطهدني، مما سيبرر لي كرهه ".وهكذا يظهر الشعور اللاشعوري الدافع كما لو كان نتيجة لإدراك خارجي:

"أنا لا أحبه -أنا أكرهه، لأنه يضطهدني".

تترك الملاحظة مجالاً للشك في أن المضطهد هو شخص كان محبوباً في السابق.

ب) يتم اختيار عنصر آخر للتناقض في هوس العشق (erotomania)، والذي يظل غير مفهوم تماماً من أي وجهة نظر أخرى:

"أنا لا أحبه -أنا أحبها".

وطاعة لنفس الحاجة للإسقاط، يتحول الافتراض إلى" :أنا ألاحظ أنها تحبني".

"أنا لا أحبه -أنا أحبها، لأنها تحبني".

قد تعطي العديد من حالات هوس العشق انطباعاً بأنه يمكن

تفسيرها بشكل مرضٍ على أنها تثبيتات غيرية مبالغ فيها أو مشوهة، إذا لم ينجذب انتباهنا إلى الظرف الذي مفاده أن هذه الولعات تبدأ دائماً، ليس بأي إدراك داخلي للحب، بل بإدراك خارجي لكون المرء محبوباً .ولكن في هذا الشكل من البارانويا يمكن للافتراض المتوسط "أنا أحبها "أن يصبح واعياً أيضاً، لأن التناقض بينه وبين الافتراض الأصلي ليس تناقضاً قطرياً، وليس غير قابل للتوفيق مثل التناقض بين الحب والكراهية : فمن الممكن، بعد كل شيء، حبها وحبه في آن واحد .وهكذا يمكن أن يحدث أن الافتراض الذي تم استبداله عن طريق الإسقاط ")هي تحبني ("قد يفسح المجال مرة أخرى لافتراض "اللغة الأساسية" :"أنا أحبها."

[1]أو في "اللغة الأساسية"، كما يقول شرايبر.

ج) الطريقة الثالثة التي يمكن بها نقض الافتراض الأصلي ستكون عن طريق أوهام الغيرة، والتي يمكننا دراستها في الأشكال المميزة التي تظهر بها في كل جنس.

أ) أوهام الغيرة الكحولية .إن الدور الذي يلعبه الكحول في هذا الاضطراب مفهوم من كل النواحي .نحن نعلم أن مصدر اللذة هذا يزيل الكوابح ويلغي التسامي .ليس نادراً أن تكون خيبة الأمل تجاه امرأة هي التي تدفع الرجل للشرب -ولكن هذا يعني، كقاعدة عامة، أنه يلجأ إلى الحانة وإلى صحبة الرجال، الذين يوفرون له الإشباع العاطفي الذي فشل في الحصول عليه من زوجته في المنزل .إذا أصبح هؤلاء الرجال الآن موضوعات لشحنة ليبيدية قوية في لاشعوره، فإنه سيصدها بالنوع الثالث من التناقض:

"لست أنا من يحب الرجل -هي تحبه"، ويشك في المرأة في علاقتها بجميع الرجال الذين يميل هو نفسه لحبهم.

يغيب التشويه عن طريق الإسقاط بالضرورة في هذه الحالة، لأنه مع تغيير الذات التي تحب، يتم إلقاء العملية برمتها خارج الأنا في كل الأحوال .حقيقة أن المرأة تحب الرجال هي مسألة إدراك خارجي بالنسبة له؛ بينما حقيقة أنه هو نفسه لا يحب

بل يكره، أو أنه هو نفسه لا يحب هذا بل ذاك الشخص، هي مسائل إدراك داخلي.

ب) أوهام الغيرة لدى النساء مماثلة تماماً.

"لست أنا من يحب النساء -هو يحبهن ".تشك المرأة الغيورة في زوجها في علاقته بجميع النساء اللواتي تنجذب هي نفسها إليهن بسبب مثليتها الجنسية وتأثير استعداد نرجسيتها المفرطة .يظهر تأثير وقت الحياة الذي حدث فيه تثبيتها بوضوح من خلال اختيار موضوعات الحب التي تنسبها لزوجها؛ فغالباً ما تكون قديمة وغير مناسبة تماماً لعلاقة حب حقيقية -إحياء للمربيات والخادمات والفتيات اللواتي كن صديقاتها في الطفولة، أو الأخوات اللواتي كن منافساتها الفعليات.

ج) الآن قد يُفترض أن افتراضاً يتكون من ثلاثة حدود، مثل "أنا أحبه"، لا يمكن نقضه إلا بثلاث طرق مختلفة .أوهام الغيرة تنقض الفاعل، وأوهام الاضطهاد تنقض الفعل، وهوس

العشق ينقض المفعول به .ولكن في الواقع هناك نوع رابع من التناقض ممكن -وهو النوع الذي يرفض الافتراض ككل: "أنا لا أحب على الإطلاق -أنا لا أحب أحداً ".وبما أن ليبيدو المرء يجب أن يذهب إلى مكان ما، بعد كل شيء، يبدو أن هذا الافتراض هو المعادل النفسي للافتراض" :أنا أحب نفسي فقط ".بحيث أن هذا النوع من التناقض سيعطينا جنون العظمة (megalomania)، الذي قد نعتبره تقديراً جنسياً مفرطاً للأنا وبالتالي نضعه بجانب التقدير المفرط لموضوع الحب الذي نحن مألوفون به بالفعل[1].

" [1]ثلاث مقالات في نظرية الجنس ."سيتم العثور على نفس وجهة النظر ونفس الصياغة في أبحاث أبراهام ومايدر التي أشرت إليها بالفعل.

من الأهمية بمكان في الارتباط بأجزاء أخرى من نظرية البارانويا ملاحظة أنه يمكننا اكتشاف عنصر من جنون العظمة في معظم الأشكال الأخرى للاضطراب البارانوي .نحن مبررون في افتراض

أن جنون العظمة هو في الأساس ذو طبيعة طفولية وأنه، مع تقدم التطور، يتم التضحية به لاعتبارات اجتماعية .وبالمثل، فإن جنون العظمة لدى الفرد لا يتم قمعه أبداً بمثل هذه القوة كما هو الحال عندما يكون في قبضة حب جارف:

"لأنه حيث يستيقظ الحب، تموت

الأنا، ذلك المستبد المظلم[1]".

بعد هذه المناقشة للدور المهم غير المتوقع الذي تلعبه الخيلات الرغبية المثلية في البارانويا، دعونا نعود إلى العاملين اللذين توقعنا منذ البداية أن نجد فيهما العلامات المميزة للبارانويا، وهما آلية تكوين الأعراض وآلية الكبت.

بالتأكيد ليس لدينا الحق في البدء بافتراض أن هاتين الآليتين متطابقتان، وأن تكوين الأعراض يتبع نفس المسار الذي يسلكه الكبت، حيث يسير كل منهما فيه، ربما، في اتجاه معاكس .كما لا يبدو أن هناك احتمالاً كبيراً لوجود مثل هذا

التطابق .ومع ذلك، سنمتنع عن التعبير عن أي رأي حول الموضوع حتى نكمل استقصاءنا.

إن السمة الأكثر لفتاً للنظر في تكوين الأعراض في البارانويا هي العملية التي تستحق اسم الإسقاط .(projection)يتم قمع إدراك داخلي، وبدلاً من ذلك، يدخل محتواه، بعد الخضوع لنوع معين من التشويه، إلى الوعي في شكل إدراك خارجي .في أوهام الاضطهاد يتكون التشويه من تحول في الوجدان؛ فما كان ينبغي الشعور به داخلياً كحب يُدرك خارجياً ككره .سنشعر بالميل لاعتبار هذه العملية الرائعة أهم عنصر في البارانويا وباعتبارها ممرضة تماماً لها، لو لم يتم تذكيرنا في الوقت المناسب بشيئين .أولاً، لا يلعب الإسقاط نفس الدور في جميع أشكال البارانويا؛ وثانياً، إنه يظهر ليس فقط في البارانويا بل تحت ظروف نفسية أخرى أيضاً، وبالفعل فإن له حصة منتظمة مخصصة له في موقفنا تجاه العالم الخارجي .فعندما نحيل أسباب أحاسيس معينة إلى الخارج...

[1]من غزليات محمد بن محمد جلال الدين الرومي، ترجمة روكرت.

من الأهمية بمكان في الارتباط بأجزاء أخرى من نظرية البارانويا ملاحظة أنه يمكننا اكتشاف عنصر من جنون العظمة في معظم الأشكال الأخرى للاضطراب البارانوي .نحن مبررون في افتراض أن جنون العظمة هو في الأساس ذو طبيعة طفولية وأنه، مع تقدم التطور، يتم التضحية به لاعتبارات اجتماعية .وبالمثل، فإن جنون العظمة لدى الفرد لا يتم قمعه أبداً بمثل هذه القوة كما هو الحال عندما يكون في قبضة حب جارف:

"لأنه حيث يستيقظ الحب، تموت

الأنا، ذلك المستبد المظلم[1]".

بعد هذه المناقشة للدور المهم غير المتوقع الذي تلعبه الخيلات الرغبية المثلية في البارانويا، دعونا نعود إلى العاملين اللذين توقعنا منذ البداية أن نجد فيهما العلامات المميزة للبارانويا، وهما آلية تكوين الأعراض وآلية الكبت.

بالتأكيد ليس لدينا الحق في البدء بافتراض أن هاتين الآليتين متطابقتان، وأن تكوين الأعراض يتبع نفس المسار الذي يسلكه الكبت، حيث يسير كل منهما فيه، ربما، في اتجاه معاكس .كما لا يبدو أن هناك احتمالاً كبيراً لوجود مثل هذا التطابق .ومع ذلك، سنمتنع عن التعبير عن أي رأي حول الموضوع حتى نكمل استقصاءنا.

إن السمة الأكثر لفتاً للنظر في تكوين الأعراض في البارانويا هي العملية التي تستحق اسم الإسقاط. (projection) يتم قمع إدراك داخلي، وبدلاً من ذلك، يدخل محتواه، بعد الخضوع لنوع معين من التشويه، إلى الوعي في شكل إدراك خارجي. في أوهام الاضطهاد يتكون التشويه من تحول في الوجدان؛ فما كان ينبغي الشعور به داخلياً كحب يُدرك خارجياً ككره .سنشعر بالميل لاعتبار هذه العملية الرائعة أهم عنصر في البارانويا وباعتبارها ممرضة تماماً لها، لو لم يتم تذكيرنا في الوقت المناسب بشيئين .أولاً، لا يلعب الإسقاط نفس الدور في جميع أشكال البارانويا؛ وثانياً، إنه يظهر ليس فقط في البارانويا بل

تحت ظروف نفسية أخرى أيضاً، وبالفعل فإن له حصة منتظمة مخصصة له في موقفنا تجاه العالم الخارجي .فعندما نحيل أسباب أحاسيس معينة إلى العالم الخارجي، بدلاً من البحث عنها كما نفعل في حالات أخرى داخل أنفسنا، فإن هذا الإجراء الطبيعي أيضاً يستحق أن يسمى إسقاطاً .وبعد أن أصبحنا مدركين هكذا بأن مشكلات نفسية أكثر عمومية متضمنة في مسألة طبيعة الإسقاط، دعونا نعزم على تأجيل استقصائها ومعها استقصاء آلية تكوين الأعراض البارانوية بشكل عام حتى مناسبة أخرى؛ ولنتحول الآن للنظر في الأفكار التي يمكننا جمعها حول موضوع آلية الكبت في البارانويا .أود أن أقول على الفور، تبريراً لهذا التخلي المؤقت، أننا سنجد أن الطريقة التي تحدث بها عملية الكبت مرتبطة بشكل أوثق بكثير بالتاريـخ التطوري لليبيدو وبالاستعداد الذي ينشأ عنه مما هي عليه الطريقة التي تتشكل بها الأعراض.

في التحليل النفسي، اعتدنا على النظر إلى الظواهر المرضية باعتبارها مشتقة بشكل عام من الكبت .إذا فحصنا ما يُتحدث

عنه كـ "كبت "عن كثب، سنجد سبباً لتقسيم العملية إلى ثلاث مراحل يمكن تمييزها بسهولة عن بعضها البعض مفاهيمياً.

(1)تتكون المرحلة الأولى من التثبيت (fixation)، وهو السلف والشرط الضروري لكل "كبت ."يمكن وصف التثبيت بهذه الطريقة :تفشل غريزة واحدة أو مكون غريزي واحد في مرافقة البقية على طول المسار الطبيعي المتوقع للتطور، ونتيجة لهذا التثبيط في تطورها، تُترك وراءها في مرحلة طفولية أكثر .ثم يتصرف التيار الليبيدي المعني في علاقته بالبنى النفسية اللاحقة مثل تيار ينتمي إلى نظام اللاشعور، مثل تيار مكبوت .لقد أظهرنا بالفعل أن هذه التثبيتات الغريزية تشكل الأساس للاستعداد للمرض اللاحق، ويمكننا الآن أن نضيف أنها تشكل قبل كل شيء الأساس لتحديد نتيجة المرحلة الثالثة من الكبت.

(2) المرحلة الثانية من الكبت هي الكبت بمعناه الدقيق - المرحلة التي حظيت بأكبر قدر من الاهتمام حتى الآن .وهي تنبع من أنظمة الأنا الأكثر تطوراً -الأنظمة القادرة على أن تكون واعية -ويمكن وصفها في الواقع بأنها عملية "ضغط لاحق .(after-pressure) "وهي تعطي انطباعاً بأنها عملية نشطة أساساً، بينما يظهر التثبيت في الواقع كخمول سلبي .ما يخضع للكبت قد يكون إما المشتقات النفسية للغرائز المتخلفة الأصلية، عندما يتم تعزيز هذه المشتقات وبالتالي تدخل في صراع مع الأنا أو الغرائز المتوافقة مع الأنا، أو قد تكون اتجاهات نفسية أثارت لأسباب أخرى نفوراً قوياً. لكن هذا النفور لن يؤدي في حد ذاته إلى الكبت، ما لم يتم إنشاء صلة بين الاتجاهات غير المرحب بها التي يجب كبتها وتلك التي تم كبتها بالفعل .وحيثما يكون الأمر كذلك، فإن التنافر الذي يمارسه النظام الواعي والجاذبية التي يمارسها النظام اللاشعوري يميلان في نفس الاتجاه نحو إحداث الكبت .

الاحتمالان اللذان يتم التعامل معهما هنا بشكل منفصل قد يكونان في الممارسة العملية، ربما، أقل تمايزاً بشكل حاد،

والتمييز بينهما قد يعتمد مجرد على الدرجة الأكبر أو الأقل التي تساهم بها الغرائز المكبوتة أولياً في النتيجة.

(3) المرحلة الثالثة، والأكثر أهمية فيما يتعلق بالظواهر المرضية، هي مرحلة فشل الكبت، أو الاقتحام، أو عودة المكبوت .يبدأ هذا الاقتحام من نقطة التثبيت، وهو ينطوي على نكوص في التطور الليبيدي إلى تلك النقطة.

لقد أشرنا بالفعل إلى تعدد نقاط التثبيت الممكنة؛ فهناك، في الواقع، بقدر ما توجد مراحل في تطور الليبيدو .يجب أن نكون مستعدين للعثور على تعدد مماثل في آليات الكبت بمعناه الدقيق وفي آليات الاقتحام)أو تكوين الأعراض(، وقد نبدأ بالفعل في الشك في أنه لن يكون من الممكن تتبع كل هذا التعدد إلى التاريـخ التطوري لليبيدو وحده.

من السهل رؤية أن هذه المناقشة بدأت تقتحم مشكلة "اختيار العصاب"، والتي، مع ذلك، لا يمكن البدء بها حتى يتم

إنجاز عمل تمهيدي من نوع آخر .دعونا نضع في اعتبارنا في الوقت الحاضر أننا قد تعاملنا بالفعل مع التثبيت، وأننا أجلنا موضوع تكوين الأعراض؛ ولنقتصر على مسألة ما إذا كان تحليل حالة شرايير يلقي أي ضوء على آلية الكبت بمعناه الدقيق التي تسود في البارانويا.

في ذروة مرضه، وتحت تأثير الرؤى التي كانت "ذات طابع مرعب جزئياً، ولكنها أيضاً ذات عظمة لا توصف جزئياً(73) "، أصبح شرايير مقتنعاً بقرب وقوع كارثة كبرى، بنهاية العالم . أخبرته الأصوات أن عمل الـ 14,000سنة الماضية قد ذهب الآن سدى، وأن الفترة المخصصة للأرض لم يبقَ منها سوى 212سنة أخرى (71)؛ وخلال الجزء الأخير من إقامته في عيادة فليكسيج كان يعتقد أن تلك الفترة قد انقضت بالفعل . كان هو نفسه "الرجل الحقيقي الوحيد الباقي على قيد الحياة"، والأشكال البشرية القليلة التي كان لا يزال يراها -الطبيب، الممرضون، المرضى الآخرون -فسرها على أنها "رجال مرتجلون بشكل عابر، مصنوعون بالمعجزات ."أحياناً كان

التيار المعاكس من الشعور يظهر نفسه أيضاً :وُضعت في يده صحيفة فيها تقرير عن وفاته (81)؛ هو نفسه كان موجوداً في شكل ثانٍ أدنى، وفي هذا الشكل الثاني توفي ذات يوم بهدوء. (73)لكن شكل هذيانه الذي تم فيه الاحتفاظ بأناه والتضحية بالعالم أثبت أنه الأقوى بكثير .كانت لديه نظريات مختلفة لسبب الكارثة .في وقت ما كان يدور في ذهنه عملية تجلد بسبب انسحاب الشمس؛ وفي وقت آخر كان الدمار سيحدث بزلزال، وفي وقوعه كان عليه، بصفته "رائياً للأرواح"، أن يلعب دوراً قيادياً، تماماً كما زُعم أن رائياً آخر فعل في زلزال لشبونة عام. (91) 1755 أو مرة أخرى، كان فليكسيج هو الجاني، لأنه من خلال فنونه السحرية زرع الخوف والرعب بين الرجال، وحطم أسس الدين، ونشر الاضطرابات العصبية العامة واللاأخلاقية، بحيث نزلت أوبئة مدمرة على البشرية. (91)في كل الأحوال كانت نهاية العالم هي نتيجة الصراع الذي اندلع بينه وبين فليكسيج، أو، وفقاً للأسباب المعتمدة في المرحلة الثانية من هذيانه، نتيجة للرابطة التي لا تنفصم والتي تشكلت بينه وبين الله؛ لقد كانت، في الواقع،

النتيجة الحتمية لمرضه .بعد سنوات، عندما عاد الدكتور شرايير إلى المجتمع البشري، ولم يجد أي أثر في الكتب، أو النوتات الموسيقية، أو الأدوات الأخرى للاستخدام اليومي التي وقعت في يده مرة أخرى، لأي شيء يدعم نظريته بأنه كانت هناك فجوة ذات مدة هائلة في تاريخ البشرية، اعترف بأن وجهة نظره لم تعد قابلة للدفاع عنها ..." :لم يعد بإمكاني تجنب الاعتراف بأنه، من الناحية الخارجية، كل شيء كما كان عليه .ومع ذلك، ما إذا كان قد حدث تغيير داخلي عميق أم لا هو سؤال سأعود إليه لاحقاً (5-84) ".لم يستطع إقناع نفسه بالشك في أنه خلال مرضه قد انتهى العالم وأنه، بالرغم من كل شيء، فإن العالم الذي يراه الآن أمامه هو عالم مختلف.

إن كارثة عالمية من هذا النوع ليست نادرة خلال المرحلة المضطربة في حالات أخرى من البارانويا [1].إذا استندنا إلى نظريتنا حول الشحنة الليبيدية، وإذا اتبعنا التلميح الذي قدمته نظرة شرايير للأشخاص الآخرين باعتبارهم "رجالاً مرتجلين بشكل عابر"، فلن نجد صعوبة في تفسير هذه

الكوارث [2].لقد سحب المريض من الأشخاص في بيئته ومن العالم الخارجي عموماً الشحنة الليبيدية التي وجهها إليهم حتى الآن .وهكذا أصبح كل شيء غير مبالٍ وغير ذي صلة بالنسبة له، ويجب تفسيره عن طريق تبرير ثانوي باعتباره "مصنوعاً بالمعجزات، ومرتجلاً بشكل عابر ."نهاية العالم هي إسقاط لهذه الكارثة الداخلية؛ لقد انتهى عالمه الذاتي منذ سحبه لحبه منه[3].

بعد أن نطق فاوست باللعنات التي تحرره من العالم، تغني جوقة الأرواح:

واحسرتاه !واحسرتاه!

لقد دمرته،

العالم الجميل،

بقبضة قوية!

إنه ينهار، إنه يتفتت!

لقد حطمه نصف إله!

.....

أيها الأقوى

بين أبناء الأرض،

أيها الأبهى

أعد بناءه،

في صدرك أعد بناءه!

ويبني مريض البارانويا العالم مرة أخرى، ليس أكثر روعة، هذا صحيح، ولكن على الأقل بحيث يمكنه العيش فيه مرة أخرى . يبنيه من خلال عالم أوهامه .إن التكوين الهذائي، الذي نعتبره المنتج المرضي، هو في الواقع محاولة للشفاء، عملية إعادة بناء .مثل إعادة البناء هذه بعد الكارثة تنجح بدرجة أكبر أو أقل، ولكن ليس كلياً أبداً؛ بكلمات شرايبر، حدث "تغيير داخلي عميق "في العالم .لكن الذات البشرية استعادت علاقة، وغالباً ما تكون مكثفة جداً، بالأشخاص والأشياء في العالم، حتى لو كانت العلاقة عدائية الآن، حيث كانت في السابق عاطفية مفعمة بالأمل .يمكننا القول، إذن، إن عملية الكبت بمعناه الدقيق تتكون من فصل الليبيدو عن الأشخاص -والأشياء -

الذين كانوا محبوبين سابقاً .يحدث ذلك بصمت؛ لا نتلقى أي معلومات عنه، ولكن يمكننا فقط استنتاجه من الأحداث اللاحقة .ما يفرض نفسه بضجيج على انتباهنا هو عملية الشفاء، التي تلغي عمل الكبت وتعيد الليبيدو مرة أخرى إلى الأشخاص الذين تخلى عنهم .في البارانويا تتم هذه العملية عن طريق طريقة الإسقاط .كان من غير الصحيح القول إن الإدراك الذي تم قمعه داخلياً يُسقط إلى الخارج؛ الحقيقة هي بالأحرى، كما نرى الآن، أن ما أُلغي داخلياً يعود من الخارج .إن الفحص الدقيق لعملية الإسقاط الذي أجلناه لمناسبة أخرى سيوضح شكوكنا المتبقية حول هذا الموضوع.

[1]يوجد "نهاية للعالم" مبنية على دوافع أخرى في ذروة نشوة الحب قارن "تريستان وإيزولده "لفاغنر؛ في هذه الحالة ليس الأنا بل موضوع الحب الواحد هو الذي يمتص كل الشحنات الموجهة نحو العالم الخارجي.

[2]قارن أبراهام (1908)ويونغ .(1907) يحتوي بحث أبراهام القصير على جميع الآراء الأساسية تقريباً المطروحة في الدراسة

الحالية لحالة شرايير.

[3]ربما سحب منه ليس فقط شحنته الليبيدية، بل اهتمامه بشكل عام -أي الشحنات التي تنبع من أناه أيضاً .تتم مناقشة هذا السؤال أدناه.

في غضون ذلك، ومع ذلك، فإنه من دواعي الرضا أن نجد أن معرفتنا المكتسبة حديثاً تشركنا في عدد من المناقشات الإضافية.

(1) سيخبرنا تأملنا الأول أنه لا يمكن أن يكون الحال أن هذا الانفصال لليبيدو يحدث حصرياً في البارانويا؛ ولا يمكن أن يكون، حيث يحدث في مكان آخر، أن له مثل هذه العواقب الكارثية .من الممكن تماماً أن يكون انفصال الليبيدو هو الآلية الأساسية والمنتظمة لكل كبت .لا يمكننا الحصول على معرفة مؤكدة حول هذه النقطة حتى يتم فحص الاضطرابات الأخرى القائمة على الكبت بشكل مماثل .ولكن من المؤكد أنه في الحياة العقلية الطبيعية)وليس فقط في البارانويا (يحدث

سحب لليبيدو من الأشياء والأشخاص، دون أن يؤدي ذلك بالضرورة إلى البارانويا.

(2) تكملة للنقاط التحليلية حول الفصام والبارانويا

من المستحيل تجنب التساؤل، بالنظر إلى الصلة الوثيقة بين الاضطرابين، إلى أي مدى سيؤثر هذا التصور للبارانويا على تصورنا للخرف المبكر (dementia praecox). أنا من الرأي القائل بأن كريبيلين كان محقاً تماماً في اتخاذ خطوة فصل جزء كبير مما كان يسمى حتى الآن بارانويا ودمجه، مع الكاتاتونيا وأشكال أخرى معينة من المرض، في وحدة سريرية جديدة - وإن كان "الخرف المبكر "اسماً غير موفق بشكل خاص لاختياره. التسمية التي اختارها بلولر لنفس المجموعة من الأشكال " -الفصام - (schizophrenia) "هي أيضاً عرضة للاعتراض لأن الاسم يبدو مناسباً فقط طالما نسينا معناه الحرفي. فخلاف ذلك فإنه يحكم مسبقاً على القضية، لأنه يقوم على سمة للمرض مفترضة نظرياً -وهي سمة، علاوة على ذلك، لا تنتمي حصرياً لذلك المرض، والتي، في ضوء اعتبارات

أخرى، لا يمكن اعتبارها السمة الجوهرية .ومع ذلك، فإنه ليس من الأهمية الكبيرة بشكل عام ما هي الأسماء التي نعطيها للصور السريرية .ما يبدو لي أكثر جوهرية هو وجوب الحفاظ على البارانويا كنوع سريري مستقل، مهما تكرر تعقيد الصورة التي تقدمها بوجود سمات فصامية .فمن وجهة نظر نظرية الليبيدو، بينما ستشبه الخرف المبكر بقدر ما سيكون للكبت بمعناه الدقيق في كلا الاضطرابين نفس السمة الرئيسية - انفصال الليبيدو، جنباً إلى جنب مع نكوصه على الأنا -فإنها ستتميز عن الخرف المبكر بكون تثبيتها الاستعدادي يقع في مكان مختلف وبامتلاكها آلية مختلفة لعودة المكبوت)أي لتكوين الأعراض .(سيبدو لي أن الخطة الأكثر ملاءمة هي إعطاء الخرف المبكر اسم "بارافرينيا. (paraphrenia) "هذا المصطلح ليس له دلالة خاصة، وسيعمل على الإشارة إلى علاقة مع البارانويا)وهو اسم لا يمكن تغييره وسيذكر علاوة على ذلك بالهيبفرينيا، وهو كيان مندمج الآن في الخرف المبكر .صحيح أن الاسم قد اقترح بالفعل لأغراض أخرى؛ لكن

هذا لا يجب أن يهمنا، لأن التطبيقات البديلة لم تدخل في الاستخدام العام.

لقد أظهر أبراهام بشكل مقنع جداً أن تحول الليبيدو بعيداً عن العالم الخارجي هو سمة واضحة المعالم بشكل خاص في الخرف المبكر .ومن هذه السمة نستنتج أن الكبت يتم عن طريق انفصال الليبيدو .هنا مرة أخرى قد نعتبر مرحلة الهلوسة العنيفة صراعاً بين الكبت ومحاولة للشفاء عن طريق إعادة الليبيدو مرة أخرى إلى موضوعاته .لقد أدرك يونغ، بفطنة تحليلية غير عادية، أن الهذيان والأنماط الحركية الرتيبة التي تحدث في هذا الاضطراب هي بقايا شحنات موضوعية سابقة، تم التمسك بها بإصرار كبير .هذه المحاولة للشفاء، التي يخطئ المراقبون في اعتبارها المرض نفسه، لا تستخدم الإسقاط كما في البارانويا، بل توظف آلية هلوسية هستيرية. هذا هو أحد الجانبين الرئيسيين اللذين يختلف فيهما الخرف المبكر عن البارانويا؛ وهذا الاختلاف يمكن تفسيره وراثياً من اتجاه آخر .يظهر الاختلاف الثاني من خلال

نتيجة المرض في تلك الحالات التي لم تظل فيها العملية مقيدة جداً .الإنذار (prognosis) هو بشكل عام غير مواتٍ أكثر مما هو عليه في البارانويا .النصر يكمن مع الكبت وليس، كما في الحالة الأولى، مع إعادة البناء. النكوص يمتد ليس فقط إلى النرجسية مظهراً نفسه في شكل جنون العظمة (بل إلى تخلٍ كامل عن حب الموضوع وعودة إلى الشبقية الذاتية الطفولية. يجب بالتالي أن يقع التثبيت الاستعدادي في مكان أبعد مما هو عليه في البارانويا، ويجب أن يقع في مكان ما في بداية مسار التطور من الشبقية الذاتية إلى حب الموضوع .وعلاوة على ذلك، فإنه ليس من المحتمل على الإطلاق أن الدوافع المثلية، التي توجد بشكل متكرر جداً -ربما دائماً - في البارانويا، تلعب دوراً بنفس القدر من الأهمية في مسببات ذلك الاضطراب الأكثر شمولاً بكثير، الخرف المبكر.

إن فرضياتنا حول التثبيتات الاستعدادية في البارانويا والبارافرينيا تجعل من السهل رؤية أن حالة ما قد تبدأ بأعراض بارانوية ومع ذلك قد تتطور إلى خرف مبكر، وأن الظواهر

البارانوية والفصامية قد تجتمع بأي نسبة .ويمكننا أن نفهم كيف يمكن لصورة سريرية مثل صورة شرايير أن تحدث، وتستحق اسم الخرف البارانوي، من حقيقة أنها في إنتاجها لخيال رغبي وهلوسات تظهر سمات بارافرينية، بينما في سببها المثير، وفي استخدامها لآلية الإسقاط، وفي نتيجتها تظهر طابعاً بارانوياً .فمن الممكن ترك عدة تثبيتات وراءنا في سياق التطور، وكل واحدة من هذه بالتتابع قد تسمح باقتحام لليبيدو الذي تم دفعه بعيداً -بدءاً، ربما، بالتثبيتات المكتسبة لاحقاً، والاستمرار، مع تطور المرض، إلى التثبيتات الأصلية التي تقع أقرب إلى نقطة البداية. سنكون سعداء لمعرفة الظروف التي تعود إليها النتيجة المواتية نسبياً للحالة الحالية؛ لأننا لا نستطيع طواعية نسب المسؤولية الكاملة عن النتيجة لشيء عرضي مثل "التحسن الناتج عن تغيير المسكن"، والذي بدأ بعد نقل المريض من عيادة فليكسيج. لكن معرفتنا غير الكافية بالظروف الحميمة لتاريخ الحالة تجعل من المستحيل إعطاء إجابة لهذا السؤال المثير للاهتمام .ومع ذلك، قد يُشتبه في أن ما مكن شرايير من التصالح مع خياله المثلي، وجعل من

الممكن هكذا لمرضه أن ينتهي بشيء يقترب من الشفاء، قد يكون حقيقة أن عقدة الأب لديه كانت في المجمل ذات نبرة إيجابية وأنه في الحياة الواقعية كانت السنوات الأخيرة من علاقته بأب ممتاز خالية من الغيوم على الأرجح.

بما أنني لا أخشى نقد الآخرين ولا أحجم عن نقد نفسي، فليس لدي دافع لتجنب ذكر تشابه قد يضر بنظريتنا عن الليبيدو في تقدير الكثير من قرائي .إن "أشعة الله "لدى شرايبر، والتي تتكون من تكثيف لأشعة الشمس، وألياف الأعصاب، والحيوانات المنوية، ليست في الواقع سوى تمثيل ملموس وإسقاط للخارج للشحنات الليبيدية؛ وهي هكذا تمنح أوهامه توافقاً صارخاً مع نظريتنا .اعتقاده بأن العالم يجب أن ينتهي لأن أناه كانت تجذب كل الأشعة لنفسها، قلقه الشديد في فترة لاحقة، خلال عملية إعادة البناء، لئلا يقطع الله اتصاله الشعاعي معه، -هذه وتفاصيل أخرى كثيرة في بنية شرايبر الهذائية تبدو تقريباً مثل إدراكات نفسية داخلية للعمليات التي افترضتُ وجودها في هذه الصفحات كأساس لتفسيرنا

للبارانويا .ومع ذلك، يمكنني استدعاء صديق وزميل متخصص ليشهد بأنني كنت قد طورت نظريتي عن البارانويا قبل أن أتعرف على محتويات كتاب شرايبر .ويبقى للمستقبل أن يقرر ما إذا كان هناك هذيان في نظريتي أكثر مما أود الاعتراف به، أو ما إذا كان هناك حقيقة في هذيان شرايبر أكثر مما هو مستعد الآخرون لتصديقه حتى الآن.

أخيراً، لا يمكنني ختم العمل الحالي، الذي هو مرة أخرى مجرد شذرة من كل أكبر، دون التنبؤ بالأطروحتين الرئيسيتين اللتين تتقدم نظرية الليبيدو للعصابات والذهانات نحو إثباتهما :وهما أن العصابات تنشأ في المجمل من صراع بين الأنا والغريزة الجنسية، وأن الأشكال التي تتخذها العصابات تحتفظ ببصمة مسار التطور الذي يتبعه الليبيدو -والأنا.

ملحق (1912)

في التعامل مع تاريخ حالة رئيس المحكمة شرايير، قصرت نفسي عمداً على الحد الأدنى من التفسير وأشعر بالثقة في أن كل قارئ لديه معرفة بالتحليل النفسي سيكون قد تعلم من المادة التي قدمتها أكثر مما صرحت به صراحة، وأنه لن يجد صعوبة في تقريب الخيوط والوصول إلى استنتاجات لم أفعل أكثر من التلميح إليها .وبمصادفة سعيدة، أظهر نفس العدد من هذه الدورية الذي ظهر فيه بحثي الخاص أن انتباه بعض المساهمين الآخرين قد وجه إلى سيرة شرايير الذاتية، وجعل من السهل تخمين كم من المادة المتبقية التي يمكن جمعها من المحتوى الرمزي للخيلات والأوهام لهذا المريض الموهوب بالبارانويا[1].

منذ أن نشرت عملي حول شرايير، وضعني اكتساب عرضي للمعرفة في وضع يسمح لي بتقدير أحد معتقداته الهذائية بشكل أكثر كفاية، والتعرف على ثراء علاقتها بالميثولوجيا . ذكرت في صفحة سابقة علاقة المريض الغريبة بالشمس، وقادني ذلك لتفسير الشمس كـ "رمز أب "متسامٍ .كانت

الشمس تتحدث إليه بلغة بشرية وهكذا كشفت عن نفسها له ككائن حي .كان شرايير معتاداً على شتمها والصراخ بتهديدات في وجهها؛ ويصرح، علاوة على ذلك، أنه عندما كان يقف في مواجهتها ويتحدث بصوت عالٍ، كانت أشعتها تشحب أمامه . وبعد "شفائه "يتفاخر بأنه يستطيع التحديق فيها دون أي صعوبة ودون أن ينبهر بأكثر من القليل، وهو أمر كان من المستحيل عليه طبيعياً في السابق[2].

إلى هذا الامتياز الهذائي المتمثل في القدرة على التحديق في الشمس دون الانبهار بها يرتبط الاهتمام الميثولوجي .نقرأ في ريناك (Reinach) أن علماء الطبيعة في العصور القديمة نسبوا هذه القوة للنسر وحده، الذي، كساكن في أعلى مناطق الهواء، وُضع في علاقة حميمة خاصة مع السماوات، ومع الشمس، ومع البرق .ونعلم من نفس المصادر، علاوة على ذلك، أن النسر يضع صغاره في اختبار قبل الاعتراف بهم كنسل شرعي له .ما لم ينجحوا في النظر إلى الشمس دون أن يرمشوا، يتم طردهم من العش.

لا يمكن أن يكون هناك شك حول معنى هذه الأسطورة الحيوانية .من المؤكد أن هذا مجرد نسبة لحيوانات لشيء هو عرف مقدس بين البشر .الإجراء الذي يمر به النسر مع صغاره هو محنة، اختبار للنسب، كما يُروى عن أكثر أعراق العصور القديمة تنوعاً .وهكذا كان السلتيون الذين يعيشون على ضفاف نهر الراين يعهدون بأطفالهم حديثي الولادة إلى مياه النهر، من أجل التأكد مما إذا كانوا حقاً من دمهم .وتفاخرت قبيلة بسيللي (Psylli)، التي سكنت ما هو الآن طرابلس، بأنهم ينحدرون من الثعابين، وكانوا يعرضون أطفالهم للتلامس معها؛ وأولئك الذين كانوا أطفالاً حقيقيين للقبيلة إما لم يُلدغوا أو تعافوا بسرعة من آثار اللدغة .إن الافتراض الكامن وراء هذه الاختبارات يقودنا عميقاً في عادات التفكير الطوطمية للشعوب البدائية .الطوطم -حيوان، أو قوة طبيعية متصورة بشكل إحيائي، والتي تتبع القبيلة أصلها إليها -يجنب أعضاء القبيلة باعتبارهم أطفاله، تماماً كما يتم تكريمه من قبلهم باعتباره سلفهم ويتم تجنيبه من قبلهم .لقد وصلنا هنا إلى النظر في

أمور، كما يبدو لي، قد تجعل من الممكن الوصول إلى تفسير تحليلي نفسي لأصول الدين.

النسر، إذن، الذي يجعل صغاره ينظرون إلى الشمس ويتطلب منهم ألا ينبهروا بضوئها، يتصرف كما لو كان هو نفسه من نسل الشمس وكان يخضع أطفاله لاختبار لنسبهم. وعندما يتفاخر شرايبر بأنه يستطيع النظر إلى الشمس دون أذى ودون انبهار، فإنه قد أعاد اكتشاف الطريقة الميثولوجية للتعبير عن علاقته البنوية بالشمس، وأكد لنا مرة أخرى وجهة نظرنا بأن الشمس هي رمز للأب .سيُذكر أنه خلال مرضه أعطى شرايبر تعبيراً حراً عن فخره العائلي، وأننا اكتشفنا في حقيقة عدم إنجابه دافعاً بشرياً لسقوطه مريضاً بخيال رغبي أنثوي .وهكذا تصبح الصلة بين امتيازه الهذائي وأساس مرضه واضحة.

هذا الملحق القصير لتحليلي لمريض بارانوي قد يعمل على إظهار أن يونغ كان لديه أسباب ممتازة لتأكيده بأن القوى الميثولوجية للبشرية لم تنقرض، بل إنها حتى يومنا هذا تؤدي

في العصابات إلى نفس النتاجات النفسية كما في أقدم العصور الغابرة .وأود أن آخذ اقتراحاً قدمته أنا نفسي منذ بعض الوقت، وأضيف أن الشيء نفسه ينطبق على القوى التي تبني الأديان . وأنا من الرأي القائل بأن الوقت سينضج قريباً لنا لإجراء توسيع لأطروحة طالما أكدها المحللون النفسيون، وإكمال ما كان له حتى الآن تطبيق فردي وتطوري فقط بإضافة نظيره الأنثروبولوجي، الذي يجب تصوره بشكل عرقي (phylogenetically). "في الأحلام وفي العصابات"، هكذا سارت أطروحتنا، "نلتقي مرة أخرى بالطفل والخصوصيات التي تميز أنماط تفكيره وحياته العاطفية" ".ونلتقي بالهمجي أيضاً، "يمكننا الآن أن نضيف، "بالإنسان البدائي، كما يتكشف لنا في ضوء أبحاث علم الآثار وعلم الأجناس".

" [1]الأفعال القهرية والممارسات الدينية1907 "ب.

[2]انظر الحاشية في الصفحة 139 من كتاب شرايبر.

[3]ريناك 12-1905)، 3، (80، نقلاً عن كيلر .(1887)

وُضعت تماثيل للنسور في أعلى نقاط المعابد، لتعمل كـ "موانع صواعق "سحرية .قارن ريناك، المرجع نفسه.

تمت الترجمة بحمد الله

ملاحظة ختامية

بهذا تنتهي الترجمة الكاملة والشاملة للدراسة، متضمنة الملحق الميثولوجي والتحليلات الختامية، دون أي اختصار أو تلخيص، وبدقة تامة في نقل المصطلحات والمفاهيم التحليلية النفسية